أضواء على الأنشطة الاقتصادية
في بلاد شنقيط (موريتانيا)
من خلال النوازل الفقهية
دراسة لنوازل القرنين (١٢-١٣هـ/١٨-١٩م)

د. إيمان رجب زكي تمام

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

كلية الآداب- جامعة بني سويف

أضواء على الأنشطة الاقتصادية في بلاد شنقيط (موريتانيا) من خلال النوازل الفقهية دراسة لنوازل القرنين (١٢-١٣هـ/١٨-١٩م)

إيمان رجب زكي تمام
قِسْم التاريخ الحديث والمعاصر ، كلية الآداب ، جامعة بني سويف ، مصْر .
البريد الإلكتروني: Emanra@art.bsu.edu.eg

ملخص البحث:

يرصد هذا البحث بعض الأنشطة الحرفية في بلاد شنقيط (موريتانيا) خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد، استنادًا لما ورد في النوازل الفقهية من إشارات. وتبرز أهمية هذا الموضوع كونه يتعلق بالتأريخ للأنشطة الاقتصادية في إحدى المجتمعات الأفريقية إبان حقبة ما قبل الاستعمار من خلال مصادر محلية أصلية عاصرت الأحداث وعايشتها. ومن أسفٍ أن ركز الباحثون في التاريخ الأفريقي الحديث والمعاصر اهتمامهم على التأريخ للمجتمعات الأفريقية منذ بداية عهد الاستعمار الأوروبي نتيجة وفرة الوثائق الأوروبية، ولم يتطرق أغلبهم للحديث عن الفترة التي سبقت الاستعمار إلا في إشارات عابرة لم تكن سوى مدخلاً لدراسة العهد الاستعماري. ويعزو هذا إلى ندرة ما كتب عن تاريخ أفريقيا في تلك الحقبة واعتمدت تلك الكتابات بالأساس على الروايات الشفهية، والدراسات الأنثروبولوجية التي سعت سعيًا مقصودًا – خدمة للأهداف الإمبريالية– لعقد مقارنات بين وضعية المجتمع الأفريقي قبل الاستعمار وبعده، وبالتالي قدمت صورة موجهة وغير مكتملة، ولا يمكن الاطمئنان إليها في التأريخ للمجتمع الأفريقي قبل العهد الاستعماري.

في ضوء ذلك تحاول هذه الدراسة إلقاء حجر في المياه الراكدة، وحث الباحثين في التاريخ الأفريقي الحديث على الرجوع إلى بعض المصادر المحلية المهمة رغم عدم انتمائها للحقل التاريخي، ألا وهي النوازل الفقهية التي أولاها الباحثون في التاريخ الإسلامي أهمية كبرى، ورصدوا من خلالها أوضاع

المجتمع الأفريقي، بينما استبعدها الباحثون في التاريخ الحديث والمعاصر كمصدر تاريخي يمكن الاستفادة منه، ظنًا من البعض أن النوازل تشتمل فقط على معلومات فقهية.

وتكمن الإشكالية هنا في الخلط بين مفهومي الفتوى والنازلة، فالنازلة عبارة عن قضية تعرض على الفقهاء، وتعبر عن واقع معيش بالفعل، ومن ثمَّ فهي أضبط في التعبير من الفتوى التي تشمل سؤال الناس عن الأحكام الشرعية، سواء حدثت أم لم تحدث.

وفيما يتعلق ببلاد شنقيط نموذج هذه الدراسة، فقد أوردت النوازل عددًا من الإشارات المهمة التي يمكن من خلالها رصد بعض الحرف والأنشطة الاقتصادية، وكذلك أبرز المشاكل التي عانى منها الحرفيون، وهو ما ستبرزه هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: بلاد شنقيط، موريتانيا، الأنشطة الحرفية، النوازل الفقهية، أفريقيا قبل الاستعمار

Lights on Economic Activities in Chinguetti (Mauritania) Accordint to Nawazil Fiqhiya A study of the Nawazil of the two centuries (12-13 AH / 18-19 AD)

Eman Ragab Zaki Tammam
Department of Modern and Contemporary History , Faculty of Arts, Beni-Suef University , Egypt .
E-mail : Emanra@art.bsu.edu.eg

Abstract :

This research examines some craft activities in the Chinguetti Countries (Mauritania) during the eighteenth and nineteenth centuries AD, based on the references mentioned in the Nawazil Fiqhiya. The importance of this topic is highlighted as it relates to the history of economic activities in one of the African societies during the pre-colonial era through indigenous local sources who lived through the events. Unfortunately, researchers in modern and contemporary African history have focused their attention on the history of African societies since the beginning of the European colonial era as a result of the abundance of European documents, and most of them did not address the pre-colonial period except in passing references that were only an introduction to the study of the colonial era. This is attributed to the scarcity of books on the history of Africa in that era, and those writings relied mainly on oral narratives and anthropological studies that sought intentional pursuit - in service of imperialist goals - to draw comparisons between the situation of African society before and after colonialism, and thus presented a directed and incomplete picture. The reassurance of it in the history of African society before the colonial era.

In light of this, this study tries to throw a stone into the stagnant waters, and urged researchers in modern African history to refer to some important local sources despite their lack of belonging to the historical field, namely the Nawazil Fiqhiya which researchers in Islamic

history gave great importance, and through which they monitored The conditions of African society, while researchers excluded them in modern and contemporary history as a historical source that can be used, thinking that some of the Nawazil include only jurisprudential information.

The problem here lies in the confusion between the concepts of the fatwa and the Nazilah, for the catastrophe is a case presented to the jurists, and it expresses the reality of actually living, and then it is more precise in expression than the fatwa that includes asking people about the legal rulings, whether they happen or not.

With regard to the Chinguetti countries, the model of this study, the Nawazil cited a number of important signs through which some crafts and economic activities could be monitored, as well as the most prominent problems that craftsmen suffered from, which will be highlighted in this study.

Key words: Chinguetti Countries, Mauritania, Craft Activities, Nawzil Fiqhiya, pre-colonial Africa

مقدمة

يرصد هذا البحث بعض الأنشطة الحرفية في بلاد شنقيط **Chinguetti**(موريتانيا) **Mauritania** خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد، استنادًا لما ورد في النوازل الفقهية من إشارات. وتبرز أهمية هذا الموضوع كونه يتعلق بالتأريخ للأنشطة الاقتصادية في إحدى المجتمعات الأفريقية إبان حقبة ما قبل الاستعمار من خلال مصادر محلية أصلية عاصرت الأحداث وعايشتها، وتعد هي المصدر الوحيد في ذلك الوقت بالإضافة إلى كتب الرحلات خلال الفترة الزمنية للبحث. ومن أسفٍ أن الباحثين في التاريخ الأفريقي الحديث ركزوا اهتمامهم على التأريخ للمجتمعات الأفريقية منذ بداية عهد الاستعمار الأوروبي نتيجة وفرة الوثائق الأوروبية، ولم يتطرق أغلبهم للحديث عن الفترة التي سبقت الاستعمار إلا في إشارات عابرة لم تكن سوى مدخلاً لدراسة العهد الاستعماري. ويعزو هذا إلى ندرة ما كتب عن تاريخ أفريقيا الحديث في تلك الحقبة، فضلاً عن اعتماد تلك الكتابات بالأساس على الروايات الشفهية، والدراسات الأنثروبولوجية التي سعت سعيًا مقصودًا –خدمة للأهداف الإمبريالية– لعقد مقارنات بين وضعية المجتمع الأفريقي قبل الاستعمار وبعده، وبالتالي قدمت صورة موجهة وغير مكتملة، ولا يمكن الاطمئنان إليها في التأريخ للمجتمع الأفريقي قبل العهد الاستعماري.

ولذا تكمن **أهمية هذا الموضوع** في أنه يسعى لإلقاء حجر في المياه الراكدة، وحث الباحثين في التاريخ الأفريقي الحديث على الرجوع إلى بعض المصادر المحلية المهمة رغم عدم انتمائها للحقل التاريخي، ألا وهي النوازل الفقهية التي أولاها الباحثون في التاريخ الإسلامي أهمية كبرى، ورصدوا من خلالها أوضاع المجتمع الأفريقي، بينما استبعدها الباحثون في التاريخ الحديث كمصدر تاريخي يمكن الاستفادة منه، ظنًا من البعض أن النوازل تشتمل على معلومات فقهية فقط، إلا أن هذه النوازل تقدم معطيات تاريخية واقتصادية

واجتماعية تعين في رصد التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع الذي تتناوله.

وتتناول النوازل بنية المجتمع في القرى، وفي المدن، وهي عبارة عن أسئلة وجهها أفراد ينتمون لكافة طبقات المجتمع، وأجوبة الفقهاء والمفتين عن تلك الأسئلة. وتدور الأسئلة حول قضايا ترتبط بمختلف جوانب حياة الأفراد والجماعات، ثم أجوبة الفقهاء على هذه الأسئلة بمقتضى نصوص الشرع. ويعد سؤال النازلة هو الأهم بالنسبة للمؤرخ؛ إذ يساعد في التعرف على واقع المجتمع اقتصاديًا واجتماعيًا، أي أن السؤال يرسم صورة حقيقية عن الواقع الاقتصادي والاجتماعي، أما الجواب فيمثل الحل الشرعي للمشاكل.

وفيما يتعلق ببلاد شنقيط نموذج هذه الدراسة، فيمكن القول بأن إسهامات الحركة الفقهية الشنقيطية في مجال النوازل كانت نتاجًا – في بعض الأحيان– للمشاكل التي عانى منها الحرفيون، وبذلك فإن هذه النوازل وإن كانت تعبر عن وقوع بعض الظواهر السلبية على المستويين السياسي والاقتصادي، فضلاً عن الاجتماعي، فإنها في الوقت نفسه تبرهن على الحضور الواضح للمفتي والفقيه الشنقيطي، وحرصه على العمل على حل مشاكل المجتمع، فضلاً عن برهنتها على توجه الشنقيطيين نحو هذه الفئة المثقفة العاملة بالفقه، أملاً في إيجاد حل لمشكلاتهم، وسعيًا لمعرفة موقف الشريعة الإسلامية وطبيعة تعاملها مع مثل قضاياهم.

وقد أوردت هذه النوازل عددًا من المعطيات التاريخية المهمة التي يمكن من خلالها رصد بعض الحرف والأنشطة الاقتصادية، وكذلك أبرز المشاكل التي عانى منها الحرفيون، حيث تبرز النوازل الفقهية المشاكل التي تعرض لها حرفيو شنقيط، خلال فترة شهدت حالة من الفراغ والفوضى السياسية وانعدام الأمن، وسيطرة القبائل على المشهد السياسي والاقتصادي، وهي فترة القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة/ الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد.

من ثم تكمن أهمية هذا الموضوع أيضًا في التعرف على وضع المجتمع القبلي في شنقيط، وما عرفه من انقسامات وتنافسات وصراعات قبلية كشفت عنها بجلاء النوازل التي عرضت على كبار الفقهاء والمفتين في المنطقة، وتلك الحالة تفسر ما آلت إليه أوضاع البلاد من تفكك واضطراب، وبالتالي وقعت فريسة سهلة –فيما بعد– أمام الأطماع الاستعمارية الفرنسية، إذ نجح القائد الفرنسي كوبولاني[١] **Coppolani** في إقناع الحكومة الفرنسية بالسيطرة على بلاد شنقيط، بعد أن لمس بنفسه الصراعات بين القبائل أثناء زيارته للمنطقة متنكرًا. ووضع في ديسمبر عام ١٨٩٩ مشروعًا لإنشاء موريتانيا الغربية التي تشمل موريتانيا الحالية، ثم تمت سيطرة فرنسا على البلاد بحلول عام ١٩٠٣[٢].

أما عن **أسباب اختيار الفترة الزمنية للدراسة**، فقد تم اختيار فترة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كحد زمني؛ لاعتبارين مهمين يتعلقان بطبيعة هذه الدراسة: اعتبار ثقافي وآخر اقتصادي، فمن حيث الاعتبار الأول يمثل هذان القرنان أهمية كبرى في مجال الفقه والفتوى الشنقيطية؛ لدرجة أن البعض يرى[٣] أن هذين القرنين يمثلان قمة عطاء الثقافة الشنقيطية بعد أن اكتملت سماتها البنيوية ومسارها العام الذي شهد تغيرات عدة، أبرزها هجرة عدد من العلماء والفقهاء الشناقطة من محطات ومراكز مدن القوافل الساحلية إلى الأرياف البدوية مع اكتمال انتشار قبائل بني حسان في المنطقة، وإحكام قبضتهم على سائر فئات المجتمع. أما الاعتبار الاقتصادي فيتمثل في أنه منذ القرن الثامن عشر يبدأ عهد الازدهار الاقتصادي الحقيقي لبلاد شنقيط، بعد أن أصبحت محطة رئيسة للقوافل التجارية، ومنطلقًا لركاب الحج الصحراوية[٤]، وانعكاس ذلك على الأنشطة الاقتصادية في البلاد. ومن ثم يمكن في ضوء الاعتبارين السابقين تكوين صورة أكثر واقعية عن المجتمع الشنقيطي وأنشطته الاقتصادية استنادًا للنوازل الفقهية التي عرفت زيادة مضطردة بتطور الحياة الاقتصادية والفكرية معًا؛ إذ أسهمت تلك النوازل في

الكشف عن جوانب مهمة حول الأوضاع الاقتصادية، التي ندر وجودها في المصادر التاريخية.

وتهدف هذه الورقة البحثية **للإجابة عن بعض التساؤلات**، منها سؤال رئيس: هل يمكن الاستفادة من كتب النوازل الفقهية في كتابة تاريخ أفريقيا الحديث خاصة مع غياب الوثائق؟ ثم تطرح هذه الورقة عددًا من الأسئلة الفرعية، أهمها: ما هي الصعوبات التي يواجهها الباحثون عند التعامل مع هذا النوع من المصادر؟ وما هي أبرز المصادر النوازلية التي يمكن الاستفادة منها في كتابة تاريخ أفريقيا الحديث؟ وكيف يمكن الاستفادة من كتب النوازل الشنقيطية في التأريخ للأنشطة الاقتصادية؟ وما هي أبرز المشاكل التي عاني منها حرفيو شنقيط؟

وللإجابة عن تلك الأسئلة ولكي يتم تغطية المقاصد التي تهدف إليها الدراسة –حسبما تتيحه النوازل من مادة– فقد قُسمت إلى أربعة مباحث رئيسة على النحو التالي:

المبحث الأول– أهمية النوازل في كتابة تاريخ أفريقيا الحديث.

المبحث الثاني– البنية السياسية والاجتماعية للمجتمع الشنقيطي خلال القرنين ١٢-١٣هـ/١٨-١٩م.

المبحث الثالث– أهم الأنشطة الاقتصادية في بلاد شنقيط من خلال النوازل.

المبحث الرابع– أبرز المشاكل التي عانى منها حرفيو شنقيط.

المبحث الأول

أهمية النوازل في كتابة تاريخ أفريقيا الحديث

اعتمد الباحثون في كتابة التاريخ الأفريقي الحديث غالبًا على ما توافر من وثائق رسمية أجنبية، والتي كتبت بأيادٍ غير وطنية وشابها التحيز والعنصرية ضد ما هو أفريقي في كثيرٍ من الأحيان، فضلاً عن أن مضمونها يفرغ التاريخ من هدفه الشمولي؛ لأن تلك المصادر تكرس الاتجاه في الغالب نحو كتابة التاريخ السياسي والحدثي والدبلوماسي، ولا تساعد –إلا في أضيق الحدود– في دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

ومع تطور حقول المعرفة التاريخية، وفي غياب وثائق أو مصادر تاريخية تتعلق بفترات زمنية معينة، وفي ظل تركيز وثائق ومصادر التاريخ الحديث على التاريخ السياسي دون غيره، يستلزم الأمر لجوء الباحثين إلى مصادر جديدة وبديلة، لا تنتمي من حيث تصنيف العلوم إلى الحقل التاريخي، لكنها تتضمن معطيات تاريخية مهمة، ومنها كتب النوازل الفقهية. فماذا نقصد بالنوازل؟

النَوَازِلُ جمع نَازِلَة، وهي تعني من حيث الاصطلاح اللغوي: الشديدة تنزل بالقوم، وهي الشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس(٥). أما من حيث الاصطلاح الفقهي فتعني مشكلة عقائدية أو أخلاقية أو حياتية، يصطدم بها المسلم في حياته اليومية، فيحاول إيجاد حل لها، يتلاءم مع طبيعة المجتمع، ويستند في الوقت نفسه إلى القواعد الشرعية، وهي الأحكام الصادرة عن الفقهاء في الوقائع الجزئية(٦).

ويظهر مما تقدم أن النوازل تتضمن نصوصًا ووثائق مهمة جدًا للبحث التاريخي، وتغطي فضاءات أوسع؛ اقتصادية، واجتماعية، وذهنية(٧). ومن خلال هذه النصوص يمكن للباحث رسم صورة أقرب للواقع حول الكيفية التي كان يعيش بها أفراد المجتمع، ولذا أصاب البعض حينما أطلقوا على هذه المصادر مسمى "**المصادر الدفينة**"، نظرًا لأهميتها البالغة(٨). وبهذا تصبح

للنازلة أهمية خاصة للفقيه والمؤرخ على حدٍ سواء، فإذا كان الفقيه يستفيد منها في رسم الحكم الشرعي في مسألة مستجدة، فإن المؤرخ يستمد دلالات تاريخية لا تقل أهمية عن الحكم الشرعي[٩] بما تتضمنه من نصوص ثمينة تساهم في سد بعض الثغرات، والكشف عن جوانب مهمة من الوقائع التاريخية[١٠].

من ثم تبرز أهمية النوازل الفقهية في إحاطتها بمختلف مجريات الحياة اليومية والمعاملات بين الناس وما يترتب عليها من مشاكل[١١]؛ وبالتالي تشكل تلك النصوص النوازلية للباحثين مادة تاريخية لا تقل أهمية عن المصادر التاريخية بل تفوقها في أحيانٍ كثيرة، لأنها ترتبط بالواقع الملموس ارتباطًا وثيقًا، وتتعامل معه وتحاول إصلاحه[١٢]، فضلاً عن أنها لم تتلون بلون أيديولوجي أو سياسي، لا سيما مع ابتعاد المفتي عن السلطة الحاكمة؛ مما يجعل النازلة نصًا تاريخيًا محايدًا[١٣]. ومن هنا تبدو قيمة النوازل وأهميتها ليس في المجال الفقهي وحده، وإنما فيما تقدمه من معلومات مهمة تكاد تخلو منها الكتب التاريخية حول الحياة الاقتصادية والاجتماعية والذهنية[١٤].

ورغم تلك الأهمية، هناك بعض الصعوبات التي تواجه الباحث في التاريخ عند محاولة الاستفادة من النوازل، وسوف نوضحها فيما يلي:

أولاً- الصعوبات التي تواجه الباحث في التاريخ عند التعامل مع النوازل:

تواجه الباحث في النوازل عدد من الصعوبات التي يمكن التغلب عليها، ومن أهم هذه الصعوبات ضرورة التمييز بين الفقه والتاريخ داخل النازلة، وهي مسألة أساسية لابد من الوعي بها لمن يُقدم على التعامل مع هذا النوع من المصادر، فاستغلال النوازل يثير إشكالاً يتعلق بما هو واقعي؛ أي النوازل التي وقعت بالفعل، وما هو افتراضي. وللتغلب على هذه الصعوبة يمكن تمييز ما هو واقعي من خلال عدة عناصر: أن يذكر المُسْتَفْتَى أو الفقيه مكان النازلة أو زمانها أو الاثنين معًا، أو يحدد الأشخاص المتنازعين حول قضيةٍ ما، أو أن يرد في سياق السؤال أو الجواب عبارات صريحة تدل على واقعية النازلة، مثل "**وهذه النازلة كثيرة الوقوع عندنا**" أو "**جرت العادة بالبلد**"، وغير ذلك.

وهناك قرائن أخرى يمكن التأكد منها على واقعية النازلة كأن يلحق المُسْتَفْتِي سؤاله بمجموعة من الوثائق مثل العقود التي يعضد بها موقفه. ومن ذلك أيضًا أن يستدل المفتي في جوابه بأمثلة ملموسة مستمدة من محيطه الاجتماعي(١٥).

وفضلاً عما سبق، يعد توطين النازلة في الزمان والمكان من أعقد المشاكل التي يواجهها الباحث في التاريخ، فأغلب النوازل يصعب توطينها زمنيًا ومكانيًا(١٦)، فكتب النوزال لا تعطي أهمية للتسلسل الزمني، إذ هي لا تقصد أحداثًا محددة بزمن، بل أحيانًا تتعمد عدم ربط الأحداث بزمنٍ محدد أو بأشخاص، فكل همها هو مناقشة الوقائع في إطار عام(١٧). وهذه المسألة تصعب مهمة الباحث في تتبع التطور الذي يطرأ على بنيات المجتمع المدروس، خاصة أن النوازل تطرح مشاكل يبدو وكأنها متشابهة. ومن هنا تكمن أهمية اجتهاد الباحث في وضع النازلة في إطار زمني؛ لإخراجها من زمنها الفقهي المستمر إلى الزمن التاريخي. وتصبح الأمور أكثر تعقيدًا حينما يصعب على الباحث توطين النازلة في مكانٍ محدد. وللتغلب على هذه الصعوبات يجب السعي للتعرف على ترجمة المفتي وبأكبر قدر ممكن من المعلومات، وخاصة تاريخ وفاته وتنقلاته والأماكن التي استقر بها والوظائف التي شغلها، ودوره العلمي وشيوخه وتلامذته، وهي مسائل ضرورية تعين في تأطير النازلة وتوطينها في الزمان والمكان(١٨). ولهذا فقد حرص الباحث على تحديد تاريخ وفاة كل مفتي أو قاضي، وكذا المدينة أو المنطقة التي عاش فيها، بهدف تحديد زمان الحدث الوارد في النازلة ومكانه.

ومن أهم الصعوبات التي تواجه الباحثين في التاريخ أيضًا حال التعامل مع النوازل إشكالية الخاص والعام، فالنوازل تعكس أوضاعًا تاريخية يختلط فيها البنيوي بالظرفي(١٩). وهنا يجب ألا يتسرع الباحث في تقرير أو إصدار أحكام عامة؛ لأن النوازل تعرض بالأساس حالات فردية يخرج فيها بعض أبناء المجتمع عن صحيح الشرع، أو العرف والتقاليد المتبعة.

ثانيًا- أهم المؤلفات الفقهية والنوازلية التي يمكن الاستفادة منها في كتابة تاريخ أفريقيا الحديث:

وحتى تكمل الفائدة من توظيف النوازل الفقهية في الكتابة التاريخية، فسوف نشير هنا إلى أهم المؤلفات النوازلية التي يمكن الاستفادة منها في كتابة تاريخ أفريقيا الحديث. ونبدأ بتحديد أهم النوازل التي يمكن الاستفادة منها في كتابة **تاريخ المغرب الحديث**، فهناك مؤلفات نوازلية مهمة يمكن الاستفادة منها في التأريخ للمجتمع المغربي في القرن السابع عشر، من أهمها مخطوطة **لعبد العزيز بن الحسن الزياتي** (المتوفى عام١٠٥٥هـ/١٦٤٦م) بعنوان: "**الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة**"[٢٠]. وتتناول المخطوطة عددًا مهمًا من النوازل التي وقعت في شمال المغرب في مدن فاس ومكناسة وتازة وغمارة، وتصور واقع الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

وخلال نفس القرن أيضًا يُعد كتاب "**الأجوبة الناصرية في بعض مسائل البادية**"[٢١]، **لمحمد بن ناصر الدرعي** (المتوفى عام ١٠٨٥هـ/١٦٧٤م)، من أهم المؤلفات النوازلية المغربية التي يمكن الاستفادة منها في كتابة تاريخ بوادي المغرب، سواء على المستوى الاقتصادي أم الاجتماعي أم الثقافي أم الذهني. والجدير بالذكر أن مصطلح البادية في بلاد المغرب، يقصد به مناطق الأرياف المغربية.

أما بالنسبة لأهم كتب النوازل المغربية في القرن الثامن عشر، فمنها: "**مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال**"[٢٢]، **لمحمد بن عبد الله الكِيكِي** (المتوفى عام ١١٨٥هـ/١٧٧٢م). وهو كتاب مهم جدًا في التعرف على بعض المظاهر التي سادت في البوادي والجهات النائية والجبال، تلك المنطقة التي أطلق عليها "البلاد السائبة" لغياب دور السلطة المخزنية "الحكومية" فيها، وما ترتب عليه من ظهور لبعض الظواهر السلبية كهبة بنات القبائل، ووضعية المرأة في تلك الظروف الصعبة، فضلاً عن مشاكل أخرى متعلقة بتنظيم المجالين الزراعي والرعوي[٢٣].

وأيضًا كتاب **عمر بن عبد العزيز الكرسيفي** (المتوفى عام ١٢١٤هـ/١٨٠٠م) بعنوان "**الأجوبة الروضية في مسائل مرضية في البيع بالثنيا والوصية**"[٢٤]. الذي يقدم معلومات مهمة عن منطقة سوس الواقعة في جنوب المغرب خلال القرن الثامن عشر، وخصوصًا المعاملات التجارية والبيوع.

أما نوازل القرنين التاسع عشر والعشرين، فمن أهمها: كتاب "**حكم تجارة صابون الشرق وشمع البوجي وصندوق النار المجلوب ذلك من بلاد الأعادي الكفار**"[٢٥]، **لجعفر بن إدريس الكتاني** (المتوفى عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٦م). وهو كتاب في غاية الأهمية لأنه يناقش ما استجد في السياق الثقافي بالمغرب بعد أن تبلور الوجود الأجنبي في تلك البلاد، فثار النقاش حول ما يروّجه الأجانب من بضائع. وما يرتبط بها من معاملات جديدة خالطت واقع الناس وممارساتهم اليومية، فأصبح من الضروري الفصل في هذه المستجدات بين ما هو موافق للشريعة وما هو مخالف لها مما ينتظر موقف الفقهاء وفتاويهم[٢٦].

ومنها أيضًا كتاب **لمحمد المهدي بن محمد الوزاني** (المتوفى عام١٣٤٢هـ/١٩٢٤م) بعنوان: "**النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى المسماة بالمعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب**"[٢٧]. وهو كتاب مهم يقع في اثني عشر مجلدًا، يتناول النوازل والمسائل الفقهية التي نزلت بأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى من فتاوى المتأخرين من علماء المغرب فعرض لمختلف النوازل من طهارة وصلاة ونوازل المياه ونوازل البيوع، والشركات، والتركة، والنوازل الأسرية، وغيرها.

ومنها كذلك كتاب "**المجموعة الفقهية في الفتاوى السوسية**[٢٨]"، **لمحمد المختار السوسي** (المتوفى عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م). ويضم مجموعة من النوازل الفقهية لطائفة من علماء سوس بالجنوب المغربي خلال أربعة

قرون بدءًا من القرن الحادي عشر الهجري إلى ما بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجري/السابع عشر إلى منتصف القرن العشرين الميلادي، وقام بجمعها وترتيبها العلامة الفقيه محمد المختار السوسي. وقد راعت النوازل السوسية الأوضاع السياسية لسوس، واعتنت بالوضعية الاجتماعية من خلال مجموعة من القضايا، خاصة قضايا المجتمع البدوي، كما اهتمت بالمرأة ووضعيتها في المجتمع(٢٩).

كما يمكن للباحث في التاريخ الاستفادة من كتب النوازل في كتابة بعض **معالم تاريخ الجزائر الحديث**، وأهم هذه الكتب التي يمكن الاستفادة منها في كتابة تاريخ الجزائر في القرن الثامن عشر، كتاب "**النسرين الفائح النسيم عن فتاوى أبي زيد عبد الرحمان بن إبراهيم**"(٣٠)، المعروف اختصارًا **بنوازل الجنتوري**، نسبة إلى مؤلفها الشيخ **أبي زيد عبد الرحمان بن إبراهيم الجنتوري** (المتوفى عام ١١٦٠هـ/١٧٤٧م) الذي سكن وأسرته منطقة تيديكلت جنوب مدينة توات ثم ارتحل وسكن قصر جنتور بقورارة. ومنها أيضًا كتاب "**نوازل الزجلاوي**"(٣١)، للشيخ **محمد بن محمد بلعالم الزجلاوي** (المتوفى عام ١٢١٢هـ/١٧٩٨م). وتكمن أهمية كتابه في أنه تولى الفتيا والقضاء وكان أحد رجال الشورى الأربعة في مدينة توات. ومن أهم كتب النوازل الجزائرية أيضًا، كتاب "**غُنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من الأقضية والمسائل**"(٣٢)، وهي من سجلات القاضي عبد الحق بن عبد الكريم بن البكري (المتوفى عام ١٢١٠هـ/١٧٩٦م)، خاصة أن مؤلف الكتاب تولى القضاء بمدينة توات عام ١١٧٤هـ/١٧٦٠م. وقد جمع هذه النوازل الشيخ **أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن البلبالي** (المتوفى عام ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م)(٣٣).

أما بالنسبة **للدول الأفريقية جنوب الصحراء الكبرى**، فيمكن الاستفادة من كتب النوازل في كتابة التاريخ الحديث لبعض الدول الإسلامية في تلك المنطقة خلال الفترة من القرن الحادي عشر إلى الثالث عشر للهجرة/ السابع عشر إلى التاسع عشر للميلاد. ومن أهم هذه الكتب النوازلية خلال القرن

السابع عشر، "**مجموع نوازل ابن الأعمش العلوي**"، لكبير فقهاء مدينة شنقيط في القرن السابع عشر للميلاد، **الطالب محمد بن المختار بن الأعمش** (المتوفى عام ١١٠٧هـ/١٦٩٥م). وتمتاز هذه النوازل بعرضها المبكر لظواهر متأصلة في المجتمع، نتيجة لضغط أهل الشوكة من القبائل الحسانية على المدن الشنقيطية وأحوازها. وخلال القرن نفسه يمكن للمؤرخين الاستفادة من "**مجموع نوازل الغلاوي**"، **لمحمد بن أبي بكر بن الهاشم الغلاوي الولاتي** (المتوفى عام١٠٩٨هـ/١٦٨٦م)، وهو تلميذ ابن الأعمش وصديقه[٣٤].

أما مؤلفات القرن الثامن عشر فمن أهمها "**كتاب البادية ونصوص أخرى**"، للشيخ **محمد المامي بن البخاري** (المتوفى عام ١٢٨٢هـ/١٨٨٥م)[٣٥]. ويعد الكتاب من أهم ما أُلف في نوازل أهل البادية ببلاد شنقيط، فقد وفق المامي رحمه الله في جمعه وتدوينه لمسائل أهل البادية وعوائدهم وضروراتهم ونوازلهم الخاصة بهم المسكوت عنها في الكتب التي اهتمت بالتأريخ للحضر فقط، ويصور لنا حالة المجتمع الشنقيطي في القرن التاسع عشر أو على الأقل حالة الشمال الغربي من هذا المجتمع، جغرافيًا وتاريخيًا وثقافيًا واجتماعيًا وسياسيًا[٣٦].

ومن أهم هذه الكتب أيضًا كتاب "**فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم**"[٣٧]، ومؤلفها **سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي** (المتوفى عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م). ويمكن الاستفادة من هذا المصدر المهم في التأريخ للحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية -كما لا يخلو أيضًا من إشارات مهمة على الصعيد السياسي- في بلاد شنقيط والبلدان الإسلامية في منطقة غربي أفريقيا مثل مالي وحوض نهر السنغال، ونهر النيجر خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، والعقدين الأولين من القرن التاسع عشر.

وخلال القرن الثامن عشر هناك مخطوطة "**نوازل الشريف**"[٣٨]، ومؤلفها الشريف حمى الله أو حماه الله التيشيتي[٣٩] (المتوفى عام ١١٦٩هـ/١٧٥٦م). والتي تتضمن مجموعة من النوازل المهمة المتعلقة بمدينة تيشيت Tichit في

بلاد شنقيط، لاسيما نوازل النهب والإغارة على الماشية والتجار، كما تحدثت عن ظاهرة المداراة[٤٠] التي سادت في تلك البلاد خلال فترة البحث.

ومنها كذلك مخطوطة "**النوازل**"[٤١] ومؤلفها هو **محمد البشير بن الحاج الهادي الإيديلي** (المتوفى عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م)، وهو من أهل مدينة ولاتة Oualata في بلاد شنقيط أيضًا، وتتضمن تلك النوازل معلومات مهمة عن بعض الأنشطة الاقتصادية وخاصة الرعي، والمشاكل التي عانى منها الرعاة، وبعض الظواهر السلبية كظاهرة "المداراة".

ويعد "**العمل المشكور في جمع نوازل التكرور**"[٤٢] من أهم كتب النوازل في بلدان غربي أفريقيا، وهو موسوعة شاملة تحوي عددًا كبيرًا من النوازل، قام بجمعها وترتيبها **المصطفى بن أحمد الغلاوي (عاش في القرن الثاني عشر للهجرة/الثامن عشر للميلاد)**. وتقع فى ستة أجزاء، وهذه الأجزاء تحتوى على فتاوى أغلب علماء وفقهاء بلاد غرب أفريقيا من القرن الثامن إلى القرن الثاني عشر للهجرة/ الرابع عشر إلى الثامن عشر للميلاد. وقد خصص الغلاوى كل جزء من هذه الأجزاء الستة لتناول فتاوى معينة فالجزء الأول يحتوى على نوازل ومسائل الزكاة والصيام والحج ونوازل الأضاحى وما يتعلق بها ومسائل اليمين، والجزء الثانى يحتوى على نوازل النكاح ومسائل اللعان ونوازل الرضاع. أما الجزء الثالث فيتناول نوازل البيوع ومسائل السلم ومسائل المحاجر. والجزء الرابع يتناول نوازل الدية والمقايضة ومسائل الوكالة والاستعارة ومسائل الغصب والسرقة. والجزء الخامس يتناول مسائل الإجارة والجعل ومسائل المغارسة والمواريث والحبس وأحكام القضاء واللقطة. أما الجزء السادس والأخير فيتناول نوازل الجنايات ومسائل الشراكة والوصايا. وهذه الأجزاء الستة تحتوى على معلومات غزيرة ومهمة ترسم صورة حية وصادقة عن الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية لدى شعوب وقبائل وأفراد المنطقة.

أما أهم نوازل القرن التاسع عشر، فمنها كتاب "**نوازل القصري**"[٤٣]، تأليف **القصري بن محمد ابن المختار بن عثمان بن القصري الجكني الولاتي**[٤٤] (المتوفى عام ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م). ويعد هذا الكتاب من أكبر مجاميع الفتاوى والنوازل في منطقة غربي أفريقيا، ويعكس تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية في رقعة شاسعة من تلك المنطقة خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، والربع الأول من القرن التاسع عشر، خاصة أن المؤلف تصدى خلال الفترة المذكورة للتدريس والإفتاء[٤٥].

ومنها كذلك مخطوطة "**نوازل محمد فال**"[٤٦]، ومؤلفها هو **محمد فال بن أحمد فال** (١٢٥٠-١٣٤٥هـ/١٨٣٤-١٩٢٦م)، وتتضمن بعض الإشارات حول الفلاحة، ومشاكل الفلاحين، وخاصة ظواهر النهب والسرقة.

ومن خلال هذه النوازل جميعها يتبين أن مؤلفيها لم يكونوا بمعزل عن المجتمع المحيط بهم، وخاصة المحيط السياسي والعلمي الذي عاشوا فيه، وهو ما انعكس في فتاواهم، إذ عالجوا ظواهر بنيوية في الاجتماع الأهلي، مثل المداراة، والمغارم، والقوافل ومشكلاتها وحمايتها، وأهل البادية ومشاكلهم، وحكم التعامل مع الغاصبين، ومع الوثنيين، وحكم التعامل في الرقيق المجلوب من هناك[٤٧]، وغيرها من المسائل بالغة الأهمية للبحث التاريخي، والتي تعين في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبعض البلدان الأفريقية شمال الصحراء وجنوبها في العصر الحديث.

وبعد تحديد أهمية النوازل لكتابة تاريخ أفريقيا الحديث، يمكننا توضيح هذه الأهمية بصورة عملية من خلال عرض أبرز الأنشطة الاقتصادية في بلاد شنقيط خلال القرنين ١٢-١٣هـ/١٨-١٩م اعتمادًا على كتب النوازل، ولكن قبل الشروع في هذا، يجب التعرف على البنية السياسية والاجتماعية في تلك البلاد.

المبحث الثاني

البنية السياسية والاجتماعية للمجتمع الشنقيطي خلال القرنين ١٢-١٣هـ/١٨-١٩م

حمل اسم شنقيط، مدينتان، الأولى تأسست عام ١٦٠هـ/٧٧٦م، وكان اسمها في البداية آبيرِ Apir، ثم تغير إلى شنقيط. وكانت هذه المدينة تقع في منطقة أدرار Adrar الجبلية إلى الشمال من وسط موريتانيا الحالية(٤٨). أما المدينة الثانية فقد تأسست سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م على بعد بضعة كيلو مترات غربي المدينة الأولى آبير، وقد احتلت المدينة الثانية مكانة كبيرة وجذبت إليها سكان المدينة الأولى، وأصبحت مركزًا تجاريًا محوريًا بين بلدان شمال الصحراء الكبرى وجنوبها، كما أصبحت قبلة يقصدها طلاب العلم من كل حدبٍ وصوب(٤٩).

ومنذ القرن الثامن عشر أصبح اسم بلاد شنقيط يطلق على كافة المناطق الصحراوية الواقعة ما بين وادي درعة شمالاً ونهر السنغال جنوبًا، ومناطق أزواد Azawad وتوات Touat في مالي والجزائر شرقًا، والمحيط الأطلسي غربًا(٥٠). وجاءت هذه التسمية نسبة إلى مدينة شنقيط التي كانت محطة انطلاق قوافل الحج القادمة من غرب إفريقيا، وبها اشتهر علماؤها وأصبح الواحد منهم يعرف بالشنقيطي نسبة إليها، كما أصبحت توحي لفظة الشنقيطي في ذلك الزمان بالعالم المتبحر في مختلف العلوم الشرعية واللغوية(٥١).

أما مُسمى موريتانيا الذي أطلق على شنقيط لاحقًا فهو كلمة لاتينية معناها "أرض الرجال السُمر"، أطلقه الفرنسيون بعد احتلالهم للبلاد مطلع القرن العشرين، إحياءً لاسم مملكة موريتانيا الرومانية القديمة التي كانت تقع في شمال غرب أفريقيا(٥٢). وكان كوبولاني –أول حاكم فرنسي للبلاد– أول من أطلق تسمية موريتانيا رسميًا على تلك البلاد(٥٣).

أما عن بنية المجتمع الشنقيطي خلال فترة البحث، فيمكن القول بأن القبيلة ظلت هي الوحدة الأساسية للتنظيم الاجتماعي منذ ما قبل الاستعمار وظلت كذلك خلال العهد الاستعماري وبعده. فالقبيلة مجموعة بشرية تربطها روابط الدم والنسب وفكرة الانحدار من جد مشترك، والملكية الجماعية للمجال الترابي المحتكر بما يحويه من مياهٍ ومراعٍ. وخضعت القبيلة لسلطة رؤساء البطون والعشائر الذين كان يُنتخب من بينهم عبر التنافس رئيس القبيلة(٥٤). وقد جرى تنافس كبير بين القبائل الشنقيطية خلال فترة البحث.

وقد كان هذا التنافس نتيجة لغياب السلطة المركزية، هذا الغياب الذي استغلته كبرى القبائل في تأسيس بعض الإمارات، وأبرز هذه الإمارات خلال فترة البحث: **إمارة أولاد أمبارك** في بلاد الحوض El Hodh(٥٥) الشرقية وما والاها جنوبًا، **وإمارة البراكنة** في جنوب غربي البلاد، **وإمارة الترارزة** في أقصى الجنوب الغربي، **وإمارة أولاد يحيى بن عثمان** في منطقة آدرار بالشمال الغربي. وإلى جانب هذه الإمارات العربية نشأت إمارتان صنهاجيتان قويتان، هما: **إمارة إدوعيش** في تكانت Tajant إلى الوسط من شرق البلاد، **وإمارة مشظوف** في بلاد الحوض من شرقي البلاد التي ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على أنقاض إمارة أولاد أمبارك(٥٦).

وفي ظل هذا التشتت وغياب السلطة المركزية؛ ظهر ما يعرف ببلاد السَّيْبة، وتعني عدم وجود سلطة مركزية تسير حياة المجتمع بتنصيب القضاة والقيام على تنفيذ أحكامهم، فلم يكن بالبلاد أمير يسوسها(٥٧). ومفهوم بلاد السيبة مضاد لمفهوم بلاد المخزن، التي تخضع لأجهزة السلطان المخزنية. أما السيبة فهي كلمة أمازيغية تعني الانشقاق، كما إنها مأخوذة من المصطلح العربي سائب الذي يعني غياب السلطة والملكية على الشيء(٥٨). ومن ثم فإن ظهور السيبة في شنقيط يعبر عن وجود فضاء أو مجال لا يوجد فيه نفوذ لسلطان أو حكم مركزي، امتنعت فيه القبائل عن دفع الضرائب لأهل الشوكة وقبائل الزوايا رغم الاعتراف الروحي بسلطة رؤساء هذه القبائل، ولكن زادت

الأمور حدة في أوقات الاضطرابات والخلافات في الإمارات والحروب القبلية، والأوبئة، والقحط وما تسبب فيه من مجاعات[٥٩].

وفي تلك الحالة ظهر دور هيكلين أساسيين، الأول **المجتمع الأهلي**، ونعني به المؤسسات الأهلية الدينية والاجتماعية التي ظهرت في المدن وبعضها داخل مضارب القبائل البدوية. والثاني هو: **المؤسسات السياسية** التي أوجدت إمارات كان لها سلطتها وفضاؤها ومواردها[٦٠]. وضمن الهيكل الأول أدى الفقهاء والمفتون دورهم تجاه أبناء المجتمع الذين أرهقتهم الظروف الاقتصادية في أوقات الأزمات وعانوا من تبعاتها.

أما البنية الاجتماعية فتكونت من عدة طبقات هي: **الحسانيون العرب**، وهي الطبقة العليا في السلم الاجتماعي، وأعضاؤها هم أهل الشوكة، وحياتهم تقوم على الغزو والحرب، والمغارم التي يفرضونها على الأتباع والأغفار التي كانوا يأخذونها من قبائل الزوايا التي تعمل في تجارة القوافل. وقد انحدرت هذه الطبقة في الغالب من قبائل بني حسان العربية التي دخلت البلاد منذ القرن ٨هـ/١٤م، والبعض الآخر من قبائل صنهاجة التي ظلت مستقلة وذات نزعة حربية.

والطبقة الثانية هي طبقة **الزوايا (الطلبة)**، وهذه الطبقة ظهرت لملء الفراغ الذي عرفته المجتمعات الإسلامية في الصحراء. وهي تنحدر من أصول بربرية وعربية من غير الحسانيين، وهي قبائل مسالمة في الغالب ذات نزعة علمية ودينية تتولى وظائف الإمامة والقضاء والفتيا والتدريس، كما إنها كانت تعمل في بعض الأنشطة الحرفية كالتجارة وتربية الأنعام وحفر الآبار[٦١].

أما الطبقة الثالثة فهي طبقة **الأتباع**، التي تكونت من قبائل مسالمة لم تكن لها سطوة عسكرية كما لم يكن لها اهتمام بالشئون الدينية[٦٢]. وقد بسط الحسانيون والزوايا سلطتهم العسكرية والدينية على المجتمع، وخاصة على طبقة الأتباع. وأصبح هناك تنافس مستمر بين قبائل محاربة جلها من أصل حساني عربي، وأخرى عالمة جلها من أصل بربري، بالإضافة إلى بعض

العرب من غير الحسانيين، في ظل غياب السلطة المركزية، وخلو أي سلطة موجودة من أي سندٍ شرعي في نظر العلماء(٦٣).

في ظل هذه الظروف وقعت بعض المشكلات التي عاني منها الحرفيون في بلاد شنقيط، ولجأ الكثيرون منهم إلى القضاة والمفتين في محاولة لإيجاد حلٍ لمشكلاتهم، ومن ثم فسوف نعرض لأهم الأنشطة الاقتصادية، ثم لأبرز المشاكل التي عانى منها الحرفيون في ضوء المادة النوازلية المتاحة.

المبحث الثالث

أهم الأنشطة الاقتصادية في بلاد شنقيط من خلال النوازل

يمكن من خلال الاطلاع على كتب النوازل الشنقيطية تكوين صورة عن أوجه النشاط الاقتصادي في تلك البلاد خلال العصر الحديث وبالتحديد قبل قدوم الاستعمار الفرنسي، والحديث عن أهم الأنشطة الاقتصادية التي أوردتها النوازل، ونبدأ بالنشاط الرعوي.

أولاً- الرعي:

اكتسب الرعي أهمية بالغة في مجتمع شنقيط خاصة مع ضعف النشاط الفلاحي نتيجة لضعف مقومات هذا النشاط في بلاد شنقيط. كما يعد الرعي سمة مميزة لكل المجتمعات البدوية والصحراوية.

وقد عمل غالبية أهل شنقيط بالرعي[٦٤]، لوفرة المراعي الطبيعية[٦٥]، ولأن النشاط الرعوي هو الأكثر تناسبًا مع البيئة الشنقيطية. ويلاحظ الباحث الحضور المكثف للمشاكل الخاصة بالرعاة في النوازل، فقد كان للماشية أهمية اقتصادية واجتماعية نتيجة سيادة نمط الإنتاج الرعوي لسكان الصحراء، وفضلاً عن هذا فإن الرعاة كانوا يستطيعون الهرب بماشيتهم تحت وطأة الاضطرابات والمطاردات التي كانوا يتعرضون لها بين الحين والآخر؛ لقدرة الماشية على الانتقال من مكان لآخر بسهولة. كما كان للرعي أهميته بفضل الفوائد المتعددة للحيوانات، فبالإضافة لتغطية الماشية من الإبل والأبقار والأغنام والماعز لجزء كبير من الاحتياجات الغذائية للسكان، وخاصة من اللحوم والألبان[٦٦]، استعملت الإبل والحمير والخيول كوسيلة نقل للإنسان وللبضائع[٦٧]، كما إنها مثلت مصدرًا مهمًا من مصادر الدخل لمالكيها، فالتاجر أو الفلاح الذي لم يكن يملك دابة لنقل بضائعه كان يقوم بكراء دابة من مالكها[٦٨].

ومع هذه الأهمية الكبيرة للماشية والدواب بوجهٍ عام، قام البعض بتربية عدد كبير من المواشي والدواب، واستعمل بعض الأجراء ليقوموا برعايتها[٦٩]،

وبالتالي كان هناك شريحتين الأولى تملكت الماشية والدواب، والثانية لم يكن بوسع أبنائها التملك فعملوا كأجراء.

وهناك بعض النوازل تؤكد على وجود شراكة في تربية الماشية بين الرجل وزوجته، ويظهر هذا من بعض النوازل التي استفتي فيها سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم (المتوفى عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)[٧٠]. وقد لاحظ كوبولاني أثناء وجوده في شنقيط أواخر القرن التاسع عشر أن النساء كن يتجهن بقطعان الماشية من الأغنام والإبل والأبقار نحو المراعي[٧١]. أي أن النساء شاركن الرجال في مهنة الرعي.

ثانيًا- الزراعة:

لم يكن النشاط الزراعي من الأنشطة البارزة في بلاد شنقيط، وظل هذا النشاط بدائيًا، فأغلب البلاد صحراوية تتألف من تلال وسهول حجرية، ولذا تركزت الزراعة في الجنوب حيث السهول الخصبة على ضفاف نهر السنغال كسهول شمامة وبراكنا[٧٢]. وقد أفاد كوبولاني في تقريره بأن أغلب أرض شنقيط غير صالحة للزراعة، باستثناء عدد قليل من الوديان، ولا سيما في شمال وادان[٧٣] التي تتوفر بها الأرض الصالحة لزراعة الحبوب، لخصوبة أرضها ووفرة المياه[٧٤]. وتساعد النوازل في الحديث عن الملكيات الزراعية وعلاقات الإنتاج الزراعي، وأهم المحاصيل في بلاد شنقيط.

١- الملكيات الزراعية في بلاد شنقيط:

يمكن تقسيم هذه الملكيات إلى نوعين، كالتالي:

أ- الملكيات الجماعية:

شاع نظام الملكية الجماعية للأرض في بلاد شنقيط، ووجدت في نطاق سيطرة القبيلة، وتعد هذه الأرض في الغالب ملكًا للقبيلة[٧٥].

أ-الملكيات الخاصة:

وتفاوتت مساحة هذه الملكيات الخاصة ما بين مساحات صغيرة، وأخرى كبيرة، والأخيرة كان أصحابها يستأجرون الفلاحين للقيام بخدمة الأرض من حرثٍ أو تجهيزٍ للأرض أو حصاد للمحاصيل، ثم نقلها [٧٦].

٢- علاقات الإنتاج الزراعي:

ويقصد بها العلاقة بين ملاك الأرض والفلاحين. وأفادت النوازل بوجود عقود المغارسة، وهي عبارة عن عقد بين صاحب الأرض وأحد الفلاحين الذي يقوم بغرس أرض المالك بأشجار معينة مثمرة تم الاتفاق عليها، ويتعهد هذا الفلاح الأرض بالفلاحة حتى نضج الثمار، مقابل الحصول على نصيبٍ معلومٍ من الثمار كالنصف أو الثلث. وهناك نازلة تبين عجز الغارس بعد سنتين عن إتمام اتفاقه مع صاحب الأرض، وتلك النازلة عرضت على الفقيه حبيب الله الكنتي الوداني[٧٧] (المتوفى عام ١١٥٥هـ/١٧٤٢م)[٧٨]. وهناك نازلة أخرى، استفتي فيها سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم (المتوفى عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م) عن مدى أحقية الغارس في بيع نصيبه قبل وقت الحصاد. وأجاب الفقيه بأنه لا يجوز للغارس هذا حتى وإن مات، يجب على وارثه أن يتم العمل المتفق عليه مع صاحب الأرض إذا أراد الحصول على نصيبه من الثمار[٧٩].

٣- المحاصيل الزراعية:

أما أبرز المزروعات التي أوردتها النوازل فهي: القطن[٨٠]، والكتان[٨١]، والبُر (القمح) والشعير[٨٢]، والنخيل، والبطيخ[٨٣]. ويفيد تقرير فيدهرب[٨٤] Faidherbe بأن بذور البطيخ كانت من أكثر المنتجات التي يحصل عليها الأوروبيون من السماسرة والوكلاء التجاريين الأفارقة من بلاد شنقيط[٨٥].

ثالثًا- الصيد البري:

وجد نشاط الصيد البري في بلاد شنقيط بفضل البيئة الصحراوية الشاسعة، وقد وردت نازلة تؤكد هذا النشاط، وتشير هذه النازلة إلى قيام صياد

باستئجار بعير، يصطاد عليه، مقابل أن يعطي لصاحب البعير قدرًا من صيده(٨٦).

رابعًا- النشاط التجاري:

يعد النشاط التجاري واحدًا من أهم الأنشطة الاقتصادية في بلاد شنقيط خلال فترة البحث، ولذا تزخر كتب النوازل بالعديد من الإشارات المتعلقة بهذا النشاط. وسوف نعرض لهذا النشاط من حيث أهم السلع، ووسائل التعامل التجاري، والمكاييل والمقاييس.

١-أهم السلع التجارية:

أوردت النوازل عددًا من السلع التجارية المهمة، يمكن إبرازها فيما يلي:

أ- الملح:

تعد تجارة الملح من أهم الأنشطة الاقتصادية في شنقيط خلال فترة البحث. وكانت ألواح الملح تستخرج من باطن الأرض، وتقطع كألواح الرخام، ثم تُحمل في القوافل على ظهور الإبل(٨٧)، ونظرًا لندرة الملح؛ اكتسب أهمية بالغة وخاصة لمجتمعات الصحراء والمناطق الحارة عمومًا التي تحتاج لكميات كبيرة من الملح، ولذلك جاء في مقدمة السلع التجارية، يشهد على ذلك أن الملح الصحراوي شكل أهم سلعة في التبادل التجاري عبر الصحراء خلال فترة طويلة امتدت من القرن العاشر للميلاد إلى مطلع القرن العشرين(٨٨).

وقد نعمت بلاد شنقيط بوجود عدد من الملَّاحات التي كان يستخرج منها الملح، وأشهرها ملَّاحات إجَّل Idjil، وتيشيت، وملاحات أخرى صغيرة كالتي كانت بإفطوط الغربي Aftut، وتافلي Tafli من بلاد الترارزة Trarza، وفي كدية جل في بلاد تيرس Tières (٨٩). ونتيجة لأهمية الملح زار الرحالة الفرنسي ديسييه فينسان بلاد شنقيط وتوجه نحو مناطق استخراج الملح، وخاصة ملاحة جل خلال عقد الستينيات من القرن التاسع عشر(٩٠).

وكانت ملكية هذه الملاحات في أيدي بعض القبائل الكبرى، فملاحة إجل كانت في ملكية قبائل كنتة، وكان الناس يسافرون إلى هذه الملاحة من

الحوض وتيشيت وأركيبة Argiba وتكانت Takant للحصول على الملح، وبعضهم كان يبيعه في مدينة شنقيط بأثمانٍ غالية[٩١].

وهناك عدد من النوازل الخاصة بتجارة الملح خلال القرن التاسع عشر في مدن وادان Wādān (بولاية آدرار)، وشنقيط، وتججكة Tajajka (في وسط منطقة تكانت Takant)، ويفهم من خل هذه النوازل وجود شراكات في تجارة الملح[٩٢]، كما تدل النوازل على قيام بعض الوكلاء بالتجارة في الملح لحساب الغير[٩٣].

ب- تجارة الذهب:

توجد بعض الإشارات حول تجارة الذهب خلال فترة البحث، منها نازلة سئل فيها الحاج الحسن بن أغبد الزيدي[٩٤] (المتوفى ١١٢٣هـ/ ١٧١١م) عمن يبيع تراب الذهب بالفضة[٩٥]. وهناك نازلة تؤكد تعرض رفقة سافرت للتجارة فنهب اللصوص بضاعتهم، وكان الذهب من بين البضائع المنهوبة. وقد عرضت هذه النازلة على الحاج أحمد بن أند عبد الله بن علي بن الشيخ (المتوفى عام ١١٤٠هـ/١٧٢٧م)[٩٦]. وتؤكد نازلة أخرى عرضت على الشريف محمد بن فاضل[٩٧] (المتوفى عام ١١٦٠هـ/١٧٤٧م) أن البعض كان يبيع مثقال الذهب مقابل عديلتين من الملح، والبعض الآخر كان يبيعه مقابل ثلاث عدائل[٩٨]. كما استفتي أبو بكر بن عبد الله الملقب ببانا التيشيتي (المتوفى عام ١٢٠٩هـ/م١٧٩٥) بشأن رجلٍ أعطى أحد الوكلاء دنانير يشتري له بها تبرًا[٩٩].

جـ - تجارة العلك (الصمغ العربي):

يعد العلك (الصمغ العربي) من بين السلع التجارية التي وردت في المصادر النوازلية، خاصة مع اهتمام التجار الأوروبيين الذين استقروا على ساحل المحيط الأطلسي وعلى ضفة نهر السنغال بالحصول على هذه السلعة المهمة، فالصمغ كانت تفرزه أشجار القتاد في أوقات الجفاف الشديد، وانتشرت

هذه الأشجار بكثرة في الجزء الجنوبي من بلاد شنقيط بموازاة نهر السنغال، وترتكز هذه المادة بكثافة في منطقة الترارزة[١٠٠].

وكان يتم تبادل العلك بالمنتجات الأخرى كالأقمشة الأوروبية، وبعض الأدوات المنزلية البسيطة وتسمى باللهجة الحسانية (شَكْتُومَه) مثل المرايا والأمشاط، والإبر والسكاكين والمقصات والعطور والخيوط والحناء، فضلاً عن الورق، والفضيات، والقضبان الحديدية[١٠١] التي كانت تستعمل في حفر الآبار وشق الأحجار التي كانت تعترض الحفر في قاع البئر[١٠٢]. وفي مقابل الحصول على الصمغ أيضًا دفع الفرنسيون للشنقيطيين سلعًا عينية مثل الأقمشة القطنية البيضاء والسوداء، والسروج التي توضع على ظهور الخيل والإبل، والصوف المغزول والمصبوغ، وقطع الحلي من المرجان، والكهرمان الأصفر، والسكر، والمشروبات الروحية مثل البراندي، وبعض الفضيات المسكوكة في هولندا[١٠٣].

وقد زاد من نشاط تجارة الصمغ أن تقنيات جمع محصول الصمغ كانت بسيطة للغاية؛ فلم يكن الأمر يستلزم سوى عصا طويلة، مع مجرفة معدنية صغيرة في نهايتها، ومعطف جلدي صغير، ليجمع بداخله نتاج الإفراز الطبيعي لأشجار الصمغ[١٠٤].

لقد أثيرت مسألة تجارة الشناقطة في الصمغ مع (النصارى) الأوروبيين في النوازل[١٠٥]، وخاصة في نوازل القرن الثامن عشر الذي شهد تجارة موسعة بين الأفارقة والأوروبيين على ساحل الأطلسي ونهر السنغال، فكان بعض الفقهاء يمنع بيع العلك إلى النصارى، والبعض الآخر لم يمنع ذلك[١٠٦]. بل إن بعض الفقهاء أغرته مكاسب هذه التجارة فباشرها عن طريق وسطاء تجاريين؛ خصوصًا أن الوجود الأوروبي آنذاك كان تجاريًا بحتًا ولم تكن المطامع الاستعمارية قد ظهرت بشكل واضح. وعندما بدأت تتضح هذه الأطماع خلال القرن التاسع عشر أصدر بعض الفقهاء فتاوى تحرم التجارة مع الأوروبيين بوجه عام، وتجارة العلك بوجهٍ خاص[١٠٧].

د- تجارة الحبوب:

تبين بعض الإشارات وجود تبادل تجاري للحبوب ويستشف ذلك من نوازل سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم (المتوفى عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م) بوجود تجارة للبُر، والشعير[١٠٨]. وتشير بعض النوازل إلى مقايضة عدائل الملح بالدوانق[١٠٩] في بلاد الحوض الشرقية[١١٠]. وبالتالي أمكن استنتاج بعض السلع المتداولة من خلال ما عرضته النوازل حول مسألة المقايضة.

هـ - تجارة الثياب:

يستشف وجود هذه التجارة من الإشارات الخاصة بالمعاملات والبيوع، حيث كان البعض يبادل الثياب ببعض السلع، إذ تفيد بعض الإشارات بتبادل الثياب بالإبل والغنم والبقر في بلاد القبلة الشرقية[١١١]. كما تظهر نازلة عرضت على الشريف محمد بن فاضل (المتوفى عام ١١٦٠هـ/١٧٤٧م) عمن ادعى أنه باع ثوبًا لشخص، فرفض دفع ثمن الثوب زاعمًا أنه هبة[١١٢]. ونازلة أخرى استفتي فيها عبد الله اليلوي[١١٣] (المتوفى عام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م) مبادلة عدائل الملح بالملاحف البيضاء[١١٤]. وهذه النوازل تؤكد استخدام أسلوب المقايضة في المعاملات التجارية، والذي سوف نشير إليه فيما بعد.

و- تجارة القطران:

من هذه السلع تجارة القطران الذي كان يُستخدم في علاج مرض جرب الجمال، ويستدل على ذلك من نازلة عرضت على سيدي عيد الله بن الحاج إبراهيم (المتوفى عام ١٢٣٣هـ) وكان سائله أحد التجار حول جواز بيع عشرة أمداد من القطران سقط فيها فأر[١١٥].

٢- وسائل التعامل التجاري:

يذهب البعض إلى عدم وجود أي عملة نقدية يتعامل بها أهل شنقيط خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وأن المقايضة كانت هي الوسيلة الوحيدة للتعامل التجاري[١١٦]. ويظهر من خلال نوازل الفترة المدروسة ندرة استعمال العملة النقدية، لكن هذا لا يعني عدم معرفة أهل شنقيط للعملات

النقدية تمامًا، فهناك نازلة عرضت على الفقيه أبي بكر بن عبد الله الملقب ببانا التيشيتي (المتوفى عام ١٢٠٩هـ/م١٧٩٥) تؤكد أن رجلاً أعطى أحد الوكلاء دنانير يشتري له بها تبرًا[١١٧].

وعمومًا كانت المقايضة الوسيلة الأكثر انتشارًا، وتم تبادل السلع بواسطتها، إذ استخدمت الإبل والغنم والبقر في المقايضة بأرض أولاد دليم، والثياب والإبل والغنم والبقر في بلاد القبلة الشرقية، والغنم والإبل والبقر في القبلة الغربية، وعدائل الملح والدوانق في بلاد الحوض الشرقية[١١٨].

٣- المكاييل والمقاييس والموازين:

يعد الصاع[١١٩] أحد وحدات الكيل المستخدمة في فترة البحث، وكان يستخدم في كيل الحبوب؛ يستشف ذلك من نوازل سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم (المتوفى عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)[١٢٠]. ومن وحدات الكيل أيضًا المُد[١٢١] وهو يساوي ربع الصاع. وكان يستخدم في كيل بعض السلع الغذائية ومنها المحاصيل الزراعية ولا سيما الحبوب[١٢٢]، كما كان يُكال به السمن ويستدل على هذا من النازلة التي عرضت على الفقيه عبد الله اليلوي (المتوفى عام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م)[١٢٣].

ويظهر من تلك النوازل أيضًا أن الشبر[١٢٤] استخدم كوحدة للقياس، وكان يُقاس به عدائل الملح؛ لأنها كانت تختلف في أطوالها[١٢٥]. أما الموازين فمنها المثقال الذي كان يستخدم في وزن بعض السلع، وخاصة الذهب[١٢٦].

خامسًا- حرف وصناعات متنوعة:

لم تورد النوازل الشنقيطية شيئا يذكر عن الحرف والصناعات الضرورية كالحدادة والنجارة، والغزل والنسيج وغيرها، والراجح أن هذا يرجع إلى ضعف النشاط الفلاحي، وبالتالي عدم الاستفادة من المواد الخام الزراعية في التصنيع، ولذلك كان يتم استيراد معظم المواد الاستهلاكية كالأقمشة الأوروبية، وبعض الأدوات المنزلية مثل المرايا والأمشاط، والإبر والسكاكين والمقصات

والعطـور والخيـوط والحنـاء، فضـلاً عـن الـورق، والفضـيات، والقضـبان الحديدية[١٢٧].

ويشير استيراد القضبان الحديدية هذه إلى ندرة وجود خام الحديد في شنقيط، بدليل ما ذكره كولترو Cultru الذي أكد على أن قضبان الحديد كانت من أبرز ما يقدم في القرن الثامن عشر كهدايا لزعماء وأمراء المنطقة، وأن الشناقطة خلال القرن الثامن عشر اشتروا القضبان الحديدية من الفرنسيين، واستعملوها في صناعة السيوف والرماح وأدوات الحراثة من مناجل وغيرها[١٢٨]. ومن هنا يتضح أن غياب الإشارات النوازلية بشأن حرف مهمة كالحدادة يبين ندرة وجود الحدادين وعدم كفاية حرفتهم لتغطية الحاجات المعيشية.

وعلى أي الأحوال، يمكننا رصد بعض الحرف التي اشتغل بها بعض الشنقطيين، وأوردتها النوازل، وهي:

١- الجزارة:

وهي أيضًا من الحرف الضرورية، وقد ورد بشأنها نازلة تؤكد على ضرورة أن تدفع الأجرة لمن يقوم بسلخ الشاة من غير لحمها[١٢٩]. وهناك نازلة سُئل فيها الفقيه عبد الله بن الطالب عبد الرحمن اليلوي (المتوفى عام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م) عمن باع لحمًا مقابل ملحفة بيضاء[١٣٠].

٢- البناء:

من البديهي وجود هذه الحرفة في أي مجتمع ولا تحتاج أدلة لإثباتها، فهي من ضروريات العمران، وقد وردت نازلة بشأن أحد البناءين منعه المطر عن استكمال عمله، فاستفتي سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم (المتوفى عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م) حول الأجرة المستحقة لهذا البناء[١٣١].

٣- حفر الآبار:

من الحرف المهمة جدًا وفقًا للنوازل، نتيجة لطبيعة البيئة الصحراوية الجافة التي ندر فيها وجود الماء، ولذلك لاحظ كوبولاني انتشار الآبار في

مضارب القبائل الشنقيطية أثناء وجوده في المنطقة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر(١٣٢).

وكانت حفر الآبار يستدعي تضافر جهود عدد من العمال ليتم هذا العمل الشاق، قد سئل القاضي أحمد بن أند عبد الله بن علي بن الشيخ (المتوفى عام ١١٤٠هـ/١٧٢٧م) عن رجلٍ استأجر أجيرًا ليحفر له بئرًا، وآخر يأتي بالخشب للبئر، واستأجر رجلاً يأتي بقضبان حديدي؛ لكي يزيل به الأحجار والصخور التي تعترض البئر(١٣٣).

٤- التأبير(١٣٤):

ويقصد بها القيام بتلقيح النخل، إذ استفتي سيدي أحمد الوافي الغلاوي (المتوفى عام١١٢٥هـ/ ١٧١٤م) عمن استأجر أجيرًا على إبَّار جناته، فصلح بعض النخل، ولم يصلح الآخر. وكان السؤال عن مدى استحقاق المُؤَبِّر لكامل أجرته(١٣٥). كما سُئل سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم (المتوفى عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م) عمن يقوم بتأبير النخل مقابل طعام أو قنو(١٣٦) من قناوين النخل(١٣٧).

٥- نسخ المصاحف:

من المهن التي ورد بشأنها بعض النوازل، حيث ثار خلاف حول مدى استحقاق الأجرة لمن يقوم بنسخ المصحف ويغير في رسمه(١٣٨).

٦- الحراسة:

يفهم من بعض نوازل القرن التاسع عشر قيام البعض باستئجار من يقوم على حراسة ديارهم أو مواشيهم أو زروعهم أو نخيلهم(١٣٩).

٧- حمل البضائع والأمتعة:

اشتغل البعض بحمل الأمتعة والبضائع الخفيفة ونقلها من مكان إلى آخر، فقد سئل حبيب الله الكنتي (المتوفى عام ١١٥٥هـ/١٧٤٢م) عمن استأجر أجيرًا ليحمل له متاعه. كما استفتي أيضًا حول رفقة استأجرت بعض الحمالين لحمل أثقالهم وأمتعتهم وعُكومهم(١٤٠).

٨- غَسْلُ الملابس:

يستشف من إحدى النوازل قيام بعض النسوة بغسل الثياب مقابل أجر، فقد عرضت نازلة على الفقيه الطالب عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن شله اليلوي (المتوفى عام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م) بشأن غَسَّالة، غصب منها اللصوص الثياب في الطريق بعد أن فرغت من غسلها، من غير تفريطٍ منها، وقدمت للفقيه المذكور البينة على ذلك(١٤١).

٩- غُسْل الموتى:

تفصح النوازل عن وجود مغسلين للموتى، يمارسون عملهم مقابل أجر، بدليل تلك النازلة التي عرضت على الحاج الحسن بن أغبد الزيدي، بخصوص مغسل للموتى غسل ميتًا بماء مضاف (أي مضاف إليه شيء من السدر أو الكافور أو نحوهما)(١٤٢). وكان السؤال حول مدى استحقاقه الأجر. كما سئل الفقيه نفسه عن أجرة غُسل الصبي(١٤٣).

١٠- تعليم الصبيان:

ويقصد بها تعليم الصبيان مبادئ القراءة والكتابة، وتحفيظهم القرآن. وقد وردت أكثر من نازلة في هذا الشأن ويتعلق أغلبها بمشكلة تحديد أجرة معلم الصبيان والخلافات حولها. فمن خلال نازلة عرضت على الحاج الحسن بن أغبد الزيدي (المتوفى ١١٢٣هـ/ ١٧١١م) يتبين أن رجلاً استأجر معلمًا ليعلم ابنه القرآن ووعده بأن يعطيه أجرًا معينًا مقابل كل حزبٍ من القرآن يعلمه للصبي، ثم مات الأب قبل أن يدفع الأجرة المستحقة للمعلم. كما سئل الشريف محمد بن فاضل (المتوفى عام ١١٦٠هـ/١٧٤٧م) عمن يشترط على المعلم عدم دفع الأجرة إلا بتمام حفظ الصبي للقرآن(١٤٤). كما عرضت على الفقيه نفسه نازلة تبين تعاقد معلم مع قوم من البادية على تعليم صبيانهم مدة معلومة، ثم ارتحلوا قبل تمام المدة المتفق عليها(١٤٥).

المبحث الرابع

أبرز المشاكل والمحن التي عانى منها حرفيو شنقيط

عانى حرفيو شنقيط من المشاكل والمحن التي تعرضوا لها، وأثرت سلبًا على أنشطتهم، وقد أفاضت النوازل الفقهية في عرض هذه المشاكل، وهذا أمر بدهي؛ إذ أن هدف النوازل يتعلق أساسًا بمحاولة إيجاد حل للمشكلات التي يواجهها أبناء المجتمع.

أولاً- محن ومشاكل طبيعية:

ونعني بها المشاكل والأزمات التي لا دخل للإنسان فيها، ومنها مثلاً مشكلة الجفاف التي ألقت بظلالها على النشاط الفلاحي، حيث لم تسمح ظروف البيئة الشنقيطية بقيام نشاط فلاحي يكفي لسد احتياجات السكان، نتيجة فقر التربة، وندرة المياه. وهذه المشكلة استدعت قيام الكثيرين لحفر الآبار للتغلب على مشكلة نقص المياه(١٤٦).

وإذا كانت مشكلة نقص المياه قد أرهقت السكان، وأثرت سلبًا على أنشطتهم الاقتصادية، فقد كان هطول الأمطار -والذي نادرًا ما كان يحدث- يمنع بعض الحرفيين من استكمال نشاطهم اليومي فهناك إشارة تبين عدم استطاعة أحد البنَّاءين استكمال عمله، فتعرض جراء ذلك لمشكلة متعلقة بالأجرة المتفق عليها(١٤٧) ويبرهن هذا على معاناة بعض الحرفيين الذين كانوا يكسبون قوتهم يومًا بيوم.

ومن ذلك أيضًا تعرض التجار والفلاحين لمخاطر الطريق والمتمثلة أحيانًا في مهاجمة الحيوانات المفترسة لقوافلهم أثناء سيرهم وتنقلهم، يؤكد ذلك النازلة التي استفتي فيها الفقيه عبد الله اليلوي (المتوفى عام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م) بشأن رجل أرسل بعيره مع آخر إلى أروان(١٤٨)، فاضطر للرجوع نظرًا لأن السبع أكل البعير الذي كان يركبه(١٤٩).

ثانيًا- محن ومشاكل بشرية:

كان هناك حضور مكثف للمشاكل والمحن البشرية في نوازل الفترة محل الدراسة، وأبرزها وأكثرها حضورًا على الإطلاق محن ومشاكل النهب والسرقات والإغارة.

١- محن ومشاكل النهب والسرقات والإغارة:

وقد عُدت من أبرز المشاكل والمحن التي واجهها الحرفيون وخاصة الرعاة والفلاحين والتجار. فبالنسبة **للرعاة** هناك الكثير من النوازل الخاصة بنهب الماشية، لاسيما الإبل، والأبقار، والخيل، منها مثلاً نازلة بشأن نهب الإبل، سئل فيها الحاج الحسن بن أغبد الزيدي (المتوفى عام ١١٢٣هـ/ ١٧١١م) عن رجلين أغار اللصوص على إبل لهما[١٥٠]. وإذا كاانت النازلة لا تحدد مكان وقوعها فإننا نرجح أنها حدثت في مدينة تيشيت، لأن المُستفتى وهو الحاج الحسن بن أغبد من أهل هذه المدينة وساكنيها[١٥١]. وتثبت هذه النازلة الأخطار التي كانت تؤرق أصحاب الماشية والمتمثلة في هجوم اللصوص والغُصَّاب، الأمر الذي كان يسلتزم تكليف الأجراء بدفع الاعتداءات عنها، ونتج عن هذا أعباء مالية إضافية على الرعاة.

وانتشرت نفس الظاهرة في مدينة ولاتة إذ سُئل الفقيه النحوي عمر بن بابا[١٥٢] (المتوفى عام ١١٤٥هـ/١٧٣٢م) عن رجل غصب من آخر حيوانًا كإبل أو بقر[١٥٣]. والمعروف أن الفقيه عمر بن بابا هو أحد فقهاء ولاتة وقضاتها المشهورين[١٥٤].

ولم تكن الإبل وحدها عرضة للنهب، وإنما سجلت بعض النوازل تعرض الأبقار للنهب أيضًا، ففي نازلة أفتى فيها الفقيه سيدي أحمد بن سيد عثمان بن مولود الغلاوي[١٥٥] (المتوفى عام ١١٧٩هـ/١٧٦٥م)، بشأن لصوص سرقوا بقرًا[١٥٦]، كما سئل القصري (المتوفى عام ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م) عن عبد سرق بقرة[١٥٧].

كما كانت الخيول عرضة للسرقة أيضًا، بدليل تلك النازلة التي سُئل عنها عبد الله بن الطالب ابن عبد الرحمن اليلوي (المتوفى عام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م) عن رجل غصب فرسًا لمسلم[١٥٨].

وإذا كانت أجوبة الفقهاء لا تمثل أهمية في الغالب بالنسبة للمؤرخين، لكونها تهتم أساسًا بتبيان الرأي الفقهي في النازلة المعروضة، فإن بعضًا من هذه الأجوبة له أهميته، لأن هذه الأجوبة تبين ملابسات وظروف النازلة المعروضة؛ فنتيجة استشراء ظاهرة الغصب، قام الفقهاء بإلزام الغاصبين بإصلاح ما فسد نتيجة سرقاتهم، فحينما سُئل الشريف محمد بن فاضل (المتوفى عام ١١٦٠هـ/١٧٤٧م) عمن غصب جملاً، فضاع ما كان محملاً عليه في الصحراء[١٥٩] جاءت إجابة الشريف على النازلة ملزمة للغاصب، برد ما تسبب في ضياعه[١٦٠]، وهو أمر يثبت التبعات المؤسفة لحوادث النهب هذه على ملاك الماشية، سواء بفقد دوابهم، أو بفقد المتاع والسلع المحمولة عليها، أو بفقدهما معًا، على نحو أدى إلى إلقاء ظلال كثيفة من الاضطراب والتدهور على الأنشطة الاقتصادية التي افتقدت للأمن المطلوب لازدهارها.

وأمام هذه الخسائر التي تعرض لها الرعاة وملاك الماشية، نتيجة سرقة ماشيتهم، أفتى بعض الفقهاء بالنهي عن شراء المغصوب، في محاولة للتضييق على الغاصبين، وممن أفتى بهذا الشريف حمى الله التيشيتي (المتوفى عام ١١٦٩هـ/ ١٧٥٦م)[١٦١]، وأفتى بهذا أيضًا سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم (المتوفى عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)[١٦٢]. كما أن الفقيه سيدي أحمد بن سيد عثمان (المتوفى عام ١١٧٩هـ/١٧٦٥م) حينما عرضت عليه النازلة المذكورة الخاصة بسرقة بعض الأبقار، أفتى بأن كل من ادعى شيئًا على من اشتهر بالسرقة، لا يشترط أن يُحضر شهودًا عدولاً[١٦٣].

أيضًا حاول الفقهاء إرساء مبدأ المسئولية الجماعية، بضرورة مواجهة الأهالي للناهبين واستخلاص ما نهبوه ورده لأصحابه، فالفقيه عبد الله بن الطالب (المتوفى عام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م) عندما سُئل عن تقاعس قوم عن رد

فرس مغصوب من يد غاصبه، أفتى بأنه يلزمهم ضمان إرجاع هذا الفرس، طالما أنهم علموا بأمر سرقته(١٦٤).

كما عانى **الفلاحون** أيضًا –ولكن في حالات قليلة جدًا– من حوادث النهب والإغارة، ويلاحظ أن نوازل الفترة الزمنية للدراسة لم تسجل حالات تعدي على الأراضي الزراعية، والراجح أن سبب ذلك هو فقر هذه الأراضي. يؤكد هذا؛ الاستنتاج الذي توصل إليه الرحالة روبرت آدامز *Robert Adams* الذي زار المنطقة عام ١٨١٠ وتم أسره وأقام عشرة أشهر عند قبائل أولاد دليم، ثم عند أولاد أبي السباع، حيث أشار إلى قوة هذه القبائل المحاربة، لكنهم لم يكن لديهم دوافع لغزو الأراضي الزراعية؛ لأن عُقم التربة في هذه المناطق الرملية ترك القليل من دواعي الإغراء لغزوها(١٦٥).

وبالرغم من عدم تعرض الأراضي الزراعية للنهب بصورة مباشرة، إلا أن حوادث الإغارة قد ألقت بظلالها على ملكية الأرض الزراعية، فهناك عدد من الإشارات تتلعق بمعاناة الفلاحين جراء فقدان ملكية الأرض الزراعية، وتدل هذه الإشارات على اضطرار بعض الفلاحين لترك أراضيهم أحيانًا بسبب الحروب والغارات، دل على هذا تلك النازلة التي عرضت على القاضي سيدي محمد التنبكتي الولاتي (المتوفى عام ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م)(١٦٦)، والتي استفتي فيها بشأن أرض تركها أصحابها بمدينة ولاتة بسبب تضييق الأعراب على أهلها بالغارات، فارتحلوا عنها خوف القتل والاسترقاق(١٦٧). ويستشف من ذلك أن أوقات الصراعات والاضطرابات كانت تؤثر في عملية ملكية الأرض فكان البعض يفقد ملكيته مضطرًا وتنتقل هذه الملكية للبعض الآخر، بما يعني أن الأزمات والتوترات الاجتماعية عدت آلية من آليات تناقل الملكية(١٦٨).

أيضًا لم تسلم المحاصيل الزراعية من حوادث النهب والسرقة، فمن خلال إحدى النوازل التي عرضت على الشريف محمد بن فاضل (المتوفى عام ١١٦٠هـ/١٧٤٧م)، كان الغصاب وقطاع الطرق ينهبون المحاصيل التي تحملها الدواب(١٦٩).

أما **التجار** فقد عانوا من حوادث السلب والنهب على طول طرق التجارة، وتعرضت حرفتهم للأخطار شأنهم شأن أصحاب الحرف الأخرى، التي تأثرت بحالة الفراغ السياسي والفوضى التي انعدم فيها الأمن على طرق التجارة، فكما هو معلوم فإن الأمن يعد أهم عوامل ازدهار النشاط التجاري.

وقد شاعت أعمال الغصب والتعدي على التجار والسلع التجارية في كثير من النوازل، فهناك نازلة سُئل فيها الحاج أحمد بن أند عبد الله بن علي بن الشيخ (المتوفى عام ١١٤٠هـ/١٧٢٧م)، بشأن رفقة سافرت للتجارة فأغار عليهم اللصوص، وسلبوا جميع ما عندهم[١٧٠]. وسُئل الشريف محمد بن فاضل التيشيتي (المتوفى عام ١١٦٠هـ/١٧٤٧م) عمن غصب جملاً فضاع ما كان محمولاً عليه في الصحراء[١٧١]. وهناك نازلة أخرى أفتى فيها الفقيه محمد بن جب الجكني (عاش في القرن الثامن عشر)، بشأن شخص اكترى دابة ليحمل عليها بضاعة، ثم طرأ عليه خوف أثناء الطريق نتيجة عدم أمانه، فاضطر لترك البضاعة وعدم حملها[١٧٢].

ونتيجة مخاطر السلب والنهب هذه وغياب الأمن على طرق التجارة؛ اضطر التجار لدفع مبالغ مالية لبعض القبائل نظير حراسة قوافلهم، وهناك بعض النوازل التي دلت على هذا، منها النازلة التي سئل فيها القصري (المتوفى عام ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م) عمن كان من المغافرة[١٧٣] يحمي الرفاق ويأخذ منهم خفرًا[١٧٤]. وبالإضافة لمحن ومشاكل النهب والإغارة هذه، عانى الحرفيون من مشكلة المداراة.

٢- مشكلة المداراة:

والمقصود بها تلك المغارم والجبايات التي كانت تفرض على الحرفيين، وتعني دفع بعض المال؛ اتقاءً لشر الظلمة واللصوص والمحاربين[١٧٥]. وقد أقر فقهاء شنقيط مبدأ المداراة، بالرغم من استثنائيته، نظرًا لعدم تبويب الشرع الإسلامي على غياب السلطة الوازعة التي تحفظ الدين، وتقيم مصالح الدنيا من جهة[١٧٦]، وإتاحة الشرع للإنسان حق الدفاع عن نفسه وماله من جهة

أخرى، فأقر الفقهاء تحمل أفراد القبيلة جميعًا دفع هذه الأموال؛ دفعًا للأخطار المحدقة بهم، ومداراة لشر اللصوص. بل إن بعض الفقهاء –نتيجة استشراء الظاهرة– أجازوا دفع هذه المداراة على سبيل الصدقة عن المساكين الذين عجزوا عن دفعها. ورغم ذلك فإن أكثر المفتين اعتبروا المداراة ارتكابًا لأخف الضررين(١٧٧).

لقد مثلت المداراة عبئًا إضافيًا لجملة الأعباء والمشاكل التي عاناها الحرفيون، وبرهنت أكثر من نازلة فقهية على هذا، ففيما يتعلق **بالرعاة** هناك نازلة يرجع تاريخها إلى عام ١١٣٨هـ/١٧٢٥م سُئل فيها الفقيه محمد أحمد بن أحمد بن أحمد بن الحاج الشنجيطي بخصوص البلوى التي عمت في الحضر والبوادي، وهي دفع الأموال لمداراة رؤساء صنهاجة، وبذلك جعل الحرفيون على أنفسهم غُرمًا ثقيلاً(١٧٨). وهناك بعض النوازل التي بينت الضرر الواقع على الرعاة في مسألة مداراة اللصوص، فقد اضطر بعض الرعاة لدفع أربعة وأربعين شاة في مداراة بعض اللصوص، وهو ما أفصحت عنه النازلة التي أفتى فيها عمر بن بابا (المتوفى عام ١١٤٥هـ/١٧٣٢م)(١٧٩).

كما عانى **الفلاحون** كغيرهم من الحرفيين وأبناء المجتمع من دفع "المداراة"، والتي كثرت النوازل بشأنها، كما هو واضح في نوازل الشريف حمى الله التيشيتي (المتوفى عام ١١٦٩هـ/١٧٥٦م)(١٨٠). كما كان الفلاحون والحرفيون في مدينة تيشيت يؤدون المداراة للرماة(١٨١) في دار الشريف أحمد بن الإمام أحمد (المتوفى عام ١١٧٨هـ/١٧٦٤م)(١٨٢). كما برزت هذه المشكلة في نوازل محمد البشير الإيديلي (المتوفى عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م)(١٨٣)، وأيضًا في نوازل القصري (المتوفى عام ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م)(١٨٤).

كما عانى **التجار** كغيرهم من شرائح الحرفيين الأخرى من أعباء دفع المداراة(١٨٥). وتكشف النوازل في القرن الثامن عشر الميلادي عن صدى تحكم الرماة المتمركزين في منطقة أَغْرَنْكَة على طريق قرية سُغْرِي التابعة لمدينة

ولاتة، من خلال طرح مشاكل تسديد المداراة بين المقيمين بالقصر والخارجين عنه للتجارة ببلاد السودان. ففي فتوى حمى الله التيشيتي (المتوفى عام ١١٦٩هـ/١٧٥٦م) جاء ذكر امتناع فئة من تجار ولاتة عن دفع حصتهم من المداراة لرماة باغنة (جنوب بلاد الحوض الحالية)، وسددها عنهم أحد أعيان ولاتة[١٨٦].

ومع استشراء الظاهرة شدد بعض الفقهاء على ضرورة التسديد الجماعي لهذه المداراة، بأن يشترك فيها جميع سكان القرى والمدن، بل وحتى القادمون على هذه القرى والمدن، ومن هؤلاء الفقهاء الحاج الحسن بن أغبد (المتوفى ١١٢٣هـ/١٧١١م)[١٨٧].

٣- الخلافات حول مدى استحقاق الأجرة أو المماطلة في الحصول عليها:

وهي من أبرز المشاكل التي تناولتها النوازل أيضًا، فبالنسبة **للرعاة،** تفيد النوازل بوقوع الخلاف حول عدم الحصول أحيانًا على الأجرة المتفق عليها أو نقصانها مقابل كراء الماشية، فقد سُئل القصري (المتوفى عام ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م) عمن اكترى بعيرًا من آخر إلى بلد معين، فلما بلغ ثلث الطريق، رجع لأهله نتيجة عارض من خوف أو غلاء سعر. وكان السؤال حول مدى استحقاق صاحب البعير للأجرة[١٨٨].

كما تعرض الأجراء على الرعي لبعض المشاكل الخاصة بالحصول على أجرتهم أو أجرة دوابهم المستخدمة في النقل أحيانًا، نتيجة لظروف طارئة على اتفاق الكراء، فقد سئل الشريف أحمد بن فاضل[١٨٩] (المتوفى عام ١١٥٣هـ/١٧٤١م)[١٩٠] عمن اكترى جملاً، ثم رجع نظرًا لخوف الطريق، فكان السؤال حول لزوم دفع الكراء، أم إسقاطه عنه نتيجة ظروف الطريق[١٩١].

وحول استحقاق الأجرة استفتي أيضًا محمد البشير الإيديليي الولاتي (المتوفى عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م) في شأن رعي أهل البادية لبقر أهل ولاتة الذين تفرقوا[١٩٢]. وسئل القصري (المتوفى عام ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م) أيضًا في نازلة مشابهة[١٩٣].

وبالنسبة **للفلاحين** فهناك بعض المشاكل الخاصة باستحقاق الأجرة، فقد سئل القصري عمن استأجر شخصًا ليحرث له أرضه، وكان الخلاف حول مدى صحة هذه الإجارة، وبالتالي مدى أحقية الأجير بأجرته(١٩٤).

وتعرض **التجار** كذلك للمماطلة في الحصول على ثمن سلعهم، دل على ذلك بعض النوازل، منها نازلة استفتي فيها الشريف محمد بن فاضل (المتوفى عام ١١٦٠هـ/١٧٤٧م) عمن ادعى أنه باع ثوبًا لشخص، فرفض دفع ثمن الثوب زاعمًا أنه هبة(١٩٥). وبالإضافة لهذه المشاكل، هناك مشاكل أخرى خاصة بالعلاقات الإنتاجية والشراكات التجارية.

٤- مشاكل خاصة بالعلاقات الإنتاجية والشراكات التجارية:

هناك مشاكل أخرى خاصة **بالعلاقات الإنتاجية** والتي تكون في المجال الفلاحي وهي العلاقة بين ملاك الأراضي والمستأجرين أو المنتفعين بالأرض مقابل نصيب محدد من المحصول، فقد سُئل ابن الأعمش عمن أجر أرضه لمدة سنة، فزرع فيها المستأجر قطنًا، فلما تمت السنة أخذ مالك الأرض أرضه، ولكن بقي فيها القطن، حيث لم يكتمل نضوجه إلا في السنة الثانية، فأراد المستأجر أخذ القطن، ودفع كراء السنة، فامتنع المالك(١٩٦)، وهي نازلة تبين معاناة الفلاح المستأجر وعدم تمكنه من جني المحصول أحيانًا، نتيجة وجود بعض الشروط المجحفة في العقد المبرم بينه، وبين مالك الأرض، وهي شروط عرضت الفلاح لخسارة ثمار عمله طيلة عدة شهور، ومن ناحية أخرى برهنت هذه النازلة على تمسك صاحب الأرض بعقد الإنتاج الموقع سلفًا مع المستأجر.

وهناك مشاكل أوردتها النوازل تتعلق **بالشركات التجارية**، ولا سيما إخلال بعض طرفي العلاقة بما تم الاتفاق عليه، من ذلك ما أوردته إحدى النوازل التي أفتى الحسن بن أغبد (المتوفى ١١٢٣هـ/ ١٧١١م) فيها، حيث استفتي بشأن رجل أعطى لآخر بعيرًا وعدائل من الملح؛ ليسافر بها إلى موضع محدد، فخالف المبضع معه (الطرف الثاني) هذا الاتفاق، وذهب

بالبضاعة إلى غير الجهة المتفق عليها، مما عرض البعير للسرقة[١٩٧]. كما استفتي نفس الفقيه عن رجل يملك بضاعة من الملح، أعطاها لتاجر ليسافر بها ويأتيه بثمنها، فتعدي هذا التاجر، وأخذ يتاجر بثمن هذا الملح ويتصرف فيه لمدة أربع سنوات[١٩٨].

٥- مشكلة التدليس والغش في البيوع:

وأخيرًا تبرز النوازل مشكلة التدليس والغش في البيوع، التي عانى منها التجار والرعاة والفلاحون، بحسب ما أوردته النوازل، منها مشاكل خاصة بالعيوب في الماشية، لاسيما الغش الذي يظهر في البعير بعد شراءه[١٩٩]. ومن مظاهر هذا الغش تلك النازلة التي استفتي فيها الفقيه عبد الرحيم بن أحمد الولي (المتوفى عام ١١٣٠هـ/١٧١٧م) عمن اشترى إبلاً، ثم ظهر المرض فيها[٢٠٠].

كما تشير بعض النوازل إلى أنه كان هناك من يشتري البقرة فيجدها ميتة الضرع، وأن البائع أخفى عليه هذا العيب، وهو ما نستدل عليه من النازلة التي استفتي فيها سيدي حبيب الله بن المختار الكنتي (المتوفى عام ١١٥٥هـ/١٧٤٢م)[٢٠١]. كما استفتي الفقيه نفسه عمن اشترى بقرة، فوجدها عاقرًا أو يابسة الضرع بعد ولادتها[٢٠٢]. وسئل الفقيه أحمد بن الفقيه المختار بن السالم المسومي (أخذ عنه المختار بن الطالب الجكاني المتوفى عام ١١٩٥هـ/١٧٨٠م)[٢٠٣] عن رجل باع لآخر ناقة وبعد أن مكثت عنده شهرين، ظهر بها مرض[٢٠٤]. ويستدل من فتاوى سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم (المتوفى عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م) أن هناك من كان يشترى بقرة فيجدها عاقرًا[٢٠٥].

وهكذا تبين من خلال النوازل تعدد صور المعاناة التي أثرت سلبًا على الحرفيين في بلاد شنقيط خلال فترة البحث.

خاتمة

تبين من خلال هذه الدراسة أهمية كتب النوازل الفقهية كمصدر لدراسة التاريخ الحديث لبعض البلدان الأفريقية شمال الصحراء وجنوبها، إذ تسهم في التعرف على جوانب تاريخية مهمة، وهي جوانب يندر وجودها في أي مصدر آخر.

أكدت الدراسة أن العديد من البلدان الأفريقية شمال الصحراء الكبرى وجنوبها يمكن دراسة تاريخها الاقتصادي والاجتماعي في العصر الحديث، خاصة فترة ما قبل الاستعمار الأوروبي، بالرغم من ندرة الوثائق عن هذه الفترة، بفضل توافر المصادر النوازلية التي ساعدت في رسم صورة حقيقية للمجتمعات في تلك البلدان.

رصدت الدراسة أهم المصادر النوازلية التي تناولت تاريخ المغرب في العصر الحديث، وكان عددها سبعة مصادر، أما المصادر النوازلية للجزائر في العصر الحديث فكان عددها ثلاثة. كما تم رصد أهم المصادر النوازلية في بلاد شنقيط، وبلدان غرب أفريقيا، وعددها تسعة مصادر. والجدير بالذكر أن هذه المصادر بعضها مطبوع، والآخر لا يزال مخطوطًا.

حددت الدراسة أبرز الصعوبات التي تواجه المؤرخ في التعامل مع كتب النوازل، وكيفية التغلب عليها، حتى تتم الاستفادة المرجوة من هذا المصدر المهم.

برهنت الدراسة على أهمية النوازل الفقهية في التعرف على قضايا اقتصادية واجتماعية مهمة بالنسبة لتاريخ بلاد شنقيط إبان القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد، وقد ركزت هذه الدراسة على جانب واحد متمثل في أوجه النشاط الاقتصادي في تلك البلاد والمشاكل التي عانى منها بعض الحرفيين.

أثبتت الدراسة أهمية النوازل الفقهية في رصد بعض الأنشطة الاقتصادية المهمة في المجتمع الشنقيطي، كالرعي، والفلاحة، والصيد،

والتجارة، فضلاً عن مجموعة أخرى من الحرف المتنوعة والتي لا يوجد عنها أية إشارات في الحوليات التاريخية.

وأسهمت دراسة النوازل الخاصة ببلاد شنقيط في التعرف على وسائل التعامل التجاري في تلك البلاد، فقد ساد نظام المقايضة، واستخدمت بعض النقود على نطاق ضيق جدًا.

وبرهنت الدراسة على اتفاق الصورة التي قدمتها النوازل عن الحياة الاقتصادية مع ظروف المجتمع الشنقيطي الذي عانى من غياب السلطة المركزية، وما أحدثه هذا الفراغ من تسلط لبعض القبائل، ولا سيما بني حسان، من ثم ظهرت عدة مشاكل كانت ناتجة عن تلك الحالة من الفوضى وعدم الاستقرار.

فبالنسبة للرعاة، أكدت الدراسة معاناتهم من بعض المشاكل تمثل أهمها فيما تعرضت له ماشيتهم من النهب والسرقة على أيدي اللصوص، وقطاع الطرق، وبعض المحاربين ممن حملوا السلاح وانتزعوا الماشية بالقوة من أيدي ملاكها، وهو أمر استلزم إضافة عبء آخر على الرعاة تمثل فيما عرف بالمداراة التي التزم الرعاة بدفعها اتقاء لشر الناهبين، وفضلاً عن هذا أثبتت الدراسة وجود بعض المشاكل الخاصة بكراء الماشية لاسيما عدم الوفاء بالعهود المبرمة حول كراء الماشية أحيانًا، أو عدم الحفاظ على هذه الماشية أحيانًا أخرى، أو المماطلة في دفع الأجرة المقررة في أحيان ثالثة.

أما الفلاحون فلم يكونوا في وضعية أفضل حالاً من الرعاة، فقد أكدت الدراسة من خلال ما عرضته من إشارات نوازلية، تعرض الفلاحين لمشاكل خاصة بملكية الأرض الزراعية التي اضطروا لتركها أحيانًا تحت وطأة الحروب والغارات، وأخرى خاصة بالعلاقات الإنتاجية وما وقع على الفلاحين من أعباء بسببها، وثالثة ممثلة فيما عانى منه الفلاحون من نهب لمحاصيلهم، فضلاً عما تعرض له بعض أجراء الفلاحين من مماطلة في الحصول على أجرتهم، وأخيرًا ما وقع على كاهل الفلاحين من عبء تمثل في المداراة.

وبالمثل تعرض التجار لمشاكل نهب وسرقة بضائعهم، إضافة إلى ما عانوه من مخاطر الطرق التي تأثرت بحالة الفوضى وانعدام الأمن، كما ثبت من خلال الدراسة وجود مشاكل خاصة بالشركات التجارية من حيث عدم التزام أحد طرفيها بما تعهد به، بالإضافة إلى مشاكل خاصة بالغش والتدليس في السلع التي كان يشتريها بعض التجار.

وقد تبين من خلال الدراسة أن مشكلة السلب والنهب والتعدي على الأموال والممتلكات هي أكثر المخاطر التي ناقشتها النوازل، وأشدها تأثيرًا على حرفيي شنقيط خلال فترة الدراسة، وهي مشاكل تمثل قاسمًا مشتركًا بين كل المجتمعات في أوقات الاضطرابات والفوضى، وغياب السلطة السياسية.

خريطة لبلاد شنقيط خلال فترة البحث(٢٠٦)

جدول بأهم المصادر النوازلية التي يمكن الاستفادة منها في كتابة تاريخ أفريقيا الحديث

م	اسم المصدر	المؤلف	الأهمية التاريخية
١	الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة	عبد العزيز بن الحسن الزياتي (المتوفى عام ١٠٥٥هـ/١٦٤٦م)	يضم عددًا مهمًا من النوازل التي وقعت في شمال المغرب في مدن فاس ومكناسة وتازة وغمارة ،وتصور واقع الحياة الاقتصادية والاجتماعية. وبالتالي يمكن الاستفادة منه في كتابة تاريخ الشمال المغربي في القرن السابع عشر.
٢	الأجوبة الناصرية في بعض مسائل البادية	محمد بن ناصر الدرعي (المتوفى عام ١٠٨٥هـ/١٦٧٤م)	من أهم المؤلفات النوازلية المغربية التي يمكن الاستفادة منها في كتابة تاريخ بوادي المغرب في القرن السابع عشر ،سواء على المستوى الاقتصادي أم الاجتماعي أم الثقافي أم الذهني.
٣	مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال	محمد بن عبد الله الكِيكي (المتوفى عام ١١٨٥هـ/١٧٧٢م)	وهو كتاب مهم جدًا في التعرف على بعض المظاهر التي سادت في البوادي والجهات النائية والجبال ببلاد المغرب في القرن الثامن عشر ، تلك المنطقة التي أطلق عليها "البلاد السائبة" لغياب دور السلطة المخزنية "الحكومية" فيها ،وما ترتب عليه من ظهور لبعض الظواهر السلبية كهبة بنات القبائل ،ووضعية المرأة في تلك الظروف الصعبة ، فضلاً عن مشاكل أخرى متعلقة بتنظيم المجالين الزراعي والرعوي.
٤	الأجوبة الروضية في مسائل مرضية في البيع بالثنيا والوصية	عمر بن عبد العزيز الكرسيفي (المتوفى عام ١٢١٤هـ/١٨٠٠م)	يقدم معلومات مهمة عن منطقة سوس الواقعة في جنوب المغرب خلال القرن الثامن عشر ،وخصوصًا المعاملات التجارية والبيوع.
٥	حكم تجارة صابون الشرق وشمع البوجي وصندوق النار المجلوب ذلك من بلاد الأعادي الكفار	جعفر بن إدريس الكتاني (المتوفى عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٦م)	وهو كتاب مهم جدًا لتاريخ المغرب في القرن التاسع عشر ،وبدايات القرن العشرين؛ لأنه يناقش ما استجد في السياق الثقافي بالمغرب بعد أن تبلور الوجود الأجنبي في تلك البلاد ، فثار النقاش حول ما يروّجه الأجانب من بضائع . وما يرتبط بها من معاملات جديدة خالطت واقع الناس وممارساتهم اليومية.
٦	النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل	محمد المهدي بن محمد الوزاني (المتوفى عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م)	وهو كتاب مهم يقع في اثني عشر مجلدًا ، يتناول النوازل والمسائل الفقهية التي نزلت بأهل فاس

	فاس وغيرهم من البدو والقرى المسماة بالمعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب		وغيرهم من البدو والقرى من فتاوى المتأخرين من علماء المغرب فعرض لمختلف النوازل من طهارة وصلاة ونوازل المياه ونوازل البيوع ،والشركات ،والتركة ، والنوازل الأسرية ،وغيرها.
٧	المجموعة الفقهية في الفتاوى السوسية	محمد المختار السوسي (المتوفى عام١٣٨٣هـ/١٩٦٤م)	ويضم مجموعة من النوازل الفقهية لطائفة من علماء سوس بالجنوب المغربي خلال أربعة قرون بدءاً من القرن الحادي عشر الهجري إلى ما بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجري/السابع عشر إلى منتصف القرن العشرين الميلادي ،وقد راعت النوازل السوسية الأوضاع السياسية لسوس ،واعتنت بالوضعية الاجتماعية ، وخاصة قضايا المجتمع البدوي ،والمرأة ووضعيتها في المجتمع
٨	النسرين الفائح النسيم عن فتاوى أبي زيد عبد الرحمان بن إبراهيم ،المعروف اختصارًا بنوازل الجنتوري	أبو زيد عبد الرحمان بن إبراهيم الجنتوري (المتوفى عام ١١٦٠هـ/١٧٤٧م)	يقدم معطيات تاريخية مهمة عن منطقة تيد يكلت جنوب مدينة توات وقصر جنتور بقورارة خلال القرن الثامن عشر
٩	نوازل الزجلاوي	محمد بن محمد بلعالم الزجلاوي (المتوفى عام ١٢١٢هـ/١٧٩٨م)	ويمكن من خلاله دراسة بعض معالم تاريخ الجزائر وخاصة مدينة توات خلال القرن الثامن عشر
١٠	غُنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من الأقضية والمسائل	جمعها الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن البلبالي (المتوفى عام١٢٤٤هـ/١٨٢٨م)	وهو مهم لكتابة بعض معالم التاريخ الجزائري في القرن الثامن عشر خاصة أن مؤلف الكتاب تولى القضاء بمدينة توات عام١١٧٤ه/١٧٦٠م
١١	مجموع نوازل ابن الأعمش العلوي	الطالب محمد بن المختار بن الأعمش (المتوفى عام ١١٠٧هـ/١٦٩٥م)	من أهم الكتب النوازلية التي يمكن من خلالها دراسة تاريخ بلاد شنقيط خلال القرن السابع عشر. وتمتاز هذه النوازل بعرضها المبكر لظواهر متأصلة في المجتمع ، نتيجة لضغط أهل الشوكة من القبائل الحسانية على المدن الشنقيطية وأحوازها.
١٢	مجموع نوازل الغلاوي	محمد بن أبي بكر بن الهاشم	يمكن الاستفادة منه في كتابة تاريخ بلاد شنقيط

		الغلاوي الولاتي (المتوفى عام١٠٩٨هـ/١٦٨٦م)	وبعض بلدان غربي أفريقيا مثل مالي والنيجر خلال القرن السابع عشر
١٣	كتاب البادية ونصوص أخرى	الشيخ محمد المامي بن البخاري (المتوفى عام١٢٨٢هـ/١٨٨٥م)	ويعد الكتاب من أهم ما أُلف في نوازل أهل البادية ببلاد شنقيط ،فقد عرض عوائد أهل البادية وضروراتهم ونوازلهم الخاصة ،ويصور حالة المجتمع الشنقيطي في القرن التاسع عشر أو على الأقل حالة الشمال الغربي من هذا المجتمع ، جغرافيًا وتاريخيًا وثقافيًا واجتماعيًا وسياسيًا.
١٤	فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم	سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (المتوفى عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)	ويمكن الاستفادة من هذا المصدر المهم في التأريخ للحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية في بلاد شنقيط والبلدان الإسلامية في منطقة غربي أفريقيا مثل مالي وحوض نهر السنغال ،ونهر النيجر خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ،والعقدين الأولين من القرن التاسع عشر.
١٥	نوازل الشريف	الشريف حمى الله أو حماه الله التيشيتي (المتوفى عام ١١٦٩هـ/١٧٥٦م)	يحوي مجموعة من النوازل المهمة المتعلقة بمدينة تيشيت في بلاد شنقيط خلال القرن الثامن عشر ، لاسيما نوازل النهب والإغارة على الماشية والتجار ، كما تحدثت عن ظاهرة المداراة
١٦	النوازل	محمد البشير بن الحاج الهادي الإيديلي (المتوفى عام١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م)	وتتضمن تلك النوازل معلومات مهمة عن بعض الأنشطة الاقتصادية وخاصة الرعي ،والمشاكل التي عاني منها الرعاة ،وبعض الظواهر السلبية كظاهرة "المداراة" في بلاد شنقيط خلال القرن الثامن عشر.
١٧	العمل المشكور في جمع نوازل التكرور	جمعها ورتبها المصطفى بن أحمد الغلاوي (عاش في القرن الثاني عشر للهجرة/الثامن عشر للميلاد)	من أهم كتب النوازل في بلدان غربي أفريقيا ،وهو موسوعة شاملة تحوي عددًا كبيرًا من النوازل ،وتقع في ستة أجزاء ،وهذه الأجزاء تحتوى على فتاوى أغلب علماء وفقهاء بلاد غرب أفريقيا من القرن الثامن إلى القرن الثاني عشر للهجرة/ الرابع عشر إلى الثامن عشر للميلاد. ويمكن من خلالها رصد الواقع الاقتصادي والاجتماعي لتلك البلاد.
١٨	نوازل القصري	القصري بن محمد بن المختار بن عثمان بن القصري الجكني الولاتي (المتوفى عام	يعد هذا الكتاب من أكبر مجاميع الفتاوى والنوازل في منطقة غربي أفريقيا ،ويعكس تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية في رقعة شاسعة من تلك

		١٢٣٥هـ/١٨٢٠م)	المنطقة خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، والربع الأول من القرن التاسع عشر.
١٩	نوازل محمد فال	محمد فال بن أحمد فال (١٢٥٠-١٣٤٥هـ/١٨٣٤-١٩٢٦م)	وتتضمن بعض الإشارات حول الفلاحة ،ومشاكل الفلاحين ،وخاصة ظواهر النهب والسرقة في بلاد شنقيط خلال الالنصف الثاني من القرن التاسع عشر ، والثلث الأول من القرن العشرين.

الهوامش والحواشي

(١) ظهرت الأطماع الاستعمارية الفرنسية للسيطرة على بلاد شنقيط خلال القرن التاسع عشر، من خلال توقيع المعاهدات مع بعض الأمراء المحليين. وقد أسهم القائد الفرنسي كوبولاني بدور واضح في هذا الإطار. ولما استاء الشنقيطيون؛ هاجموا مراكز التجارة الفرنسية على طول نهر السنغال؛ ولهذا فكر الفرنسيون في السيطرة على شنقيط لتأمين الوجود الفرنسي في السنغال. وكان كوبولاني مخطط مشروع الاستعمار الفرنسي. انظر: إسماعيل أحمد ياغي: تاريخ العالم العربي المعاصر، مكتبة العبيكان، ٢٠١١، ص٤٥٠.

(2)Xavier Coppolani: Rapport d'ensemble sur ma Mission au Soudan Francais, Paris, 1899, pp. 11, 34.

حماه الله ولد السالم: أزمة الدولة الوطنية وفشل الاندماج وتحقيق المواطنة في موريتانيا، ضمن كتاب: جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٤، ص٥٠٨، ٥٠٩.

(٣) انظر حماه الله ولد السالم: بعض مقومات الفضاء الثقافي الشنقيطي: مدخل إلى دراسة إشكاليات المجال والهوية في موريتانيا الأمس، ضمن كتاب "الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر"، تحرير وتقديم رياض زكي قاسم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٣، ص٣٨٧؛ بوها محمد عبد الله سيدي: الهوية الثقافية والدينية لبلاد شنقيط (موريتانيا)، النور للدراسات الحضارية والفكرية، العدد ١٩، السنة العاشرة، يناير ٢٠١٩، ص١٤٣؛ محمد بن ناصر العبودي: إطلالة على موريتانيا، ١٩٩٧، ص١٥٩.

(٤) حماه الله ولد السالم: بعض مقومات الفضاء الثقافي الشنقيطي، ص٣٨٧.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، مادة نزل، ج١١، ص ٦٥٩.

(٦) محمد المختار ولد السعد: الفتاوى والتاريخ دراسة لمظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية في موريتانيا من خلال فقه النوازل، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، ص ٢٩.

(٧) عبد العزيز وصفي: فقه النوازل عند فقهاء المالكية المغاربة: أهميته وخصائصه ومميزاته، مجلة الشهاب، مجلد٤، العدد٢، ديسمبر ٢٠١٨، ص٢٤٨؛ أحمد السعيدي: النوازل الفقهية ورفدها للعلوم الإنسانية علم التاريخ مثالاً، مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة البحرين، العدد ٢٨، ٢٠١٦، ص٨٨.

(٨) حسين مراد: كتب المناقب مصدرًا لدراسة الدور المجتمعي لمتصوفة المغرب الأقصى في عصر الموحدين ٥٤١-٦٨٨هـ/١١٥٦-١٢٦٩م، حولية سيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، عدد ٢٠١٩، ص٢؛ محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ج١، ١٩٨٣، ص ١٢٧.

(٩) محمد فتحة: النوازل الفقهية والمجتمع من القرن ٦ إلى ٩هـ/ ١٢-١٥م، منشورات كلية الآداب، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٩، ص ٢٠.

(١٠) إبراهيم القادري بوتشيش: النوازل الفقهية وكتب المناقب والعقود العدلية مصادر هامة لدراسة تاريخ الفئات العامة بالغرب الإسلامي ق ٥-٦هـ/١٢-١٣م، مجلة التاريخ العربي، تصدر عن جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، العدد ٢٢، ربيع عام ٢٠٠٢، ص ٢٤٨.

(١١) عبد الرحيم الحسناوي: النوازل الفقهية والتاريخ إضاءة إبستيمولوجية، مجلة الكلمة، السنة ٢٦، العدد١٠٤، ٢٠١٩، ص٨٤.

(12) Mohammed Kably: Société, pouvoir et religion au Maroc à la fn du Moyen Âge (XIVe siècle-XVe siècle), Maisonneuve et Larose, Paris, 1986, p.31.

(١٣) إبراهيم القادري: مرجع سابق، ص٢٤٨.

(14) Rachel Arié: España Musulmana: Historia de España dirigida por Manuel Tuñón de Lara, III, Barcelona 1989, (siglos VIII–XV), p.100.

(١٥) عمر بنميرة: النوازل والمجتمع مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ٢٠٢٠، ص٥٣؛ عبد الرحيم الحسناوي: مرجع سابق، ص٩٣.

(١٦) سعد غراب: كتب الفتاوى وقيمتها الاجتماعية: مثال نوازل البرزلي، حوليات الجامعة التونسية، العدد ١٦، ١٩٧٨، ص٧٦.

(١٧) محمد مزين: التاريخ المغربي ومشكل المصادر: نموذج النوازل الفقهية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عدد خاص، ١٩٨٥، ص١٠٦، ١٠٧؛ عبد العزيز وصفي: مرجع سابق، ص٢٤٨، ٢٤٩.

(١٨) محمد فتحة: مرجع سابق، ص٢٠؛ محمد مزين: مرجع سابق، ص ١١٣، ١١٤.

(١٩) عمر بنميرة: مرجع سابق، ص٥٧؛ عبد الرحيم الحسناوي: مرجع سابق، ص٩٥.

(٢٠) مخطوطة محفوظة بالمكتبة الوطنية المغربية (الخزانة العامة)، برقم د/١٦٩٨.

(٢١) المطبعة الحجرية بفاس، ١٨٦٤.

(٢٢) حققه أحمد التوفيق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧.

(٢٣) انظر مقدمة المحقق أحمد التوفيق لكتاب مواهب ذي الجلال، ص ١٩-٢٤.

(٢٤) تحقيق عمر أفا، نشر ضمن كتاب "المؤلفات الفقهية الكاملة للعلامة عمر بن عبد العزيز الكرسيفي"، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب، ٢٠٠٦.

(٢٥) تحقيق محمد حمزة الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧.

(٢٦) أحمد السعيدي: الفقيه والصورة قراءة في القول المحرر في اتخاذ الصور لمحمد بن عبد الكبير الكتاني، ضمن كتاب "ثقافة الصورة"، الأردن، ٢٠٠٧، ص ٢٣٤، ٢٣٥.

(٢٧) تحقيق عمر بن عباد، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ٢٠٠٠.

(٢٨) منشورات كلية الشريعة بأيت ملول، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٥.

(٢٩) الحسن العبادي: فقه النوازل في سوس قضايا وأعلام، منشورات كلية الشريعة، أكادير. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.، ١٩٩٩، ص ٢١٣-٢١٦.

(٣٠) مخطوطة، محفوظة بخزانة المطارفة، ادرار، الجزائر، بدون ترقيم.

(٣١) نوازل الزجلاوي، دراسة وتحقيق جرادي محمد، رسالة دكتوراه غير منشورة (فقه وأصوله) قسم الفقه وأصوله، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، ٢٠١١.

(٣٢) مخطوطة، محفوظة بخزانة ملوك، ادرار، الجزائر، بدون ترقيم.

(٣٣) مبارك جعفري: جوانب من الحياة الأسرية في توات بالجنوب الجزائري من خلال النوازل الفقهية (ق١٢هـ/١٨م)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٥٢، ديسمبر ٢٠١٩، ص ٢٤٨، ٢٤٩.

(٣٤) حماه الله ولد السالم: فتاوى الشيخ حمى الله التيشيتي في الفقه المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١، ص٦.

(٣٥) صدر عن مركز الدراسات الصحراوية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ٢٠١٤.

(٣٦) ابن الطالب موسى عبد العزيز: عرض كتاب البادية للشيخ محمد المامي بن البخاري في النص والسياق، أعمال ندورة مدينة السمارة الحاضرة الروحية والجهادية للصحراء المغربية، جامعة ابن زهر، كلية الآداب، أكادير، المغرب، ١٩٩٩، ص٣٦٨-٣٧٢.

(٣٧) جمعها وحققها محمد الأمين بن محمد بيب، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٢.

(٣٨) مخطوطة محفوظة ضمن مخطوطات جامعة فرايبورج بألمانيا، مصورة عن مخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تحت رقم MS 219.

(٣٩) هو الشريف الفقيه حمى الله بن محمد ابن الشريف أحمد بن الإمام أحمد بن الإمام محمد نض، يذكر البرتلي أنه كان من العلماء العاملين والشرفاء الصالحين، كان عالما بعلوم المعقول والمنقول، له فتاوى مجموعة مشهورة عم بها النفع في بلاد شنقيط. والتيشيتي نسبة إلى تيشيت، وهي مدينة مشهورة بعد مدينة تكانت، تقع بالقرب من منطقة الحوض الموريتانية، بينها وبين تججكة نحو خمسة أيام، وبها نخل، وأهلها أدرى الناس بالتجارة. وتعود عمارة تيشيت إلى الشريف عبد المؤمن بن صالح حوالي ٥٤٤هـ/١١٤٩م، واكتسبت هذه المدينة أهميتها لوجود معدن الملح وعيون المياه بالقرب منها، انظر أحمد بن الأمين الشنقيطي: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٨، ص٤٤١؛ البرتلي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١، ص ٨٩-٩١؛ الحاج موسى أحمد كامره: زهور البساتين في تاريخ السوادين مدونة شعوب غربي أفريقيا في التاريخ والأنساب والأنثروبولوجيا، تحقيق ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع

الشعري، الكويت، ٢٠١٠، هامش ٦٩، ص ٩٦؛ محمد المختار ولد السعد: مرجع سابق، ص١٣٨.

(٤٠) المداراة أي الضرائب المدفوعة دوريًا أو ارتجالاً؛ لرد النهب أو الغزو عن المدن وأهلها أو عن قوافلها وسوائمها التي تسرح في البوادي القريبة، وظلت تلك المداراة تتطور وتتراجع في شكل ما يسميه عرب الجزيرة "العوائد"، أو "حق الخاوة" أو غيرها، لكنه كان دليلاً على قواعد التعامل بين المجتمع الأهلي وأهل الشوكة الذين كانوا يحرسون القوافل ويأمنون السكان، ويكمون العلماء. انظر حماه الله ولد السالم: تاريخ بلاد شنكيطي "موريتانيا" من العصور القديمة إلى حرب شربة الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠، ص ٢٥٧.

(٤١) مخطوطة محفوظة ضمن مخطوطات جامعة فرايبورج بألمانيا، تحت رقم MS 382.

(٤٢) مخطوطة محفوظة بمعهد أحمد بابا التنبكتي، مالي، تحت رقم ٥٢١، ستة أجزاء.

(٤٣) اعتنى به أبو الفضل الدمياطي أحمد بن علي، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٩.

(٤٤) كان عالمًا قاضيًا مدرسًا، من أكبر فقهاء شنقيط وأشهرهم بموسوعته الحاوية لعدد ضخم من النوازل والفتاوى المفيدة والنافعة الخاصة بشرقي البلاد، وجهات أخرى مختلفة، انظر البرتلي: فتح الشكور، ص ٢٠٧؛ المختار بن حامد: حياة موريتانيا، الدار العربية للكتاب، الجزء الثاني: الحياة الثقافية، ص ٢٢٥؛ حماه الله ولد السالم: تاريخ بلاد شنكيطي، هامش ٣٧١، ص ٢٥٩.

(٤٥) حماه الله ولد السالم: فتاوى الشيخ حمى الله التيشيتي في الفقه المالكي، ص٦، ٧.

(٤٦) مخطوطة محفوظة ضمن مخطوطات جامعة فرايبورج بألمانيا، تحت رقم MS 243.

(٤٧) حماه الله ولد السالم: فتاوى الشيخ حمى الله التيشيتي في الفقه المالكي، ص٥، ٦.

(٤٨) حماه الله ولد السالم: بعض مقومات الفضاء الثقافي الشنقيطي، ص٣٨٦.

(٤٩) أحمد بن الأمين الشنقيطي: مصدر سابق، ص٤٢٢، ٤٢٣؛ باب ولد الشيخ سيديا الشنقيطي: إرشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين، تحقيق الطيب الجكني، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٣هـ، ص٢٠، ٢٤، ٢٦.

(٥٠) سيد أحمد ولد الداي: شنقيط وإسهامها في الإشعاع الروحي والثقافي في المناطق المحيطة بها، مجلة التنوير، جامعة الزيتونة، العدد الثاني، ١٩٩٥، ص٩٧.

(٥١) بوها محمد عبد الله سيدي: مرجع سابق، ص١٧.

(52) De Chassey, Francis: Mauritanie 1900-1975, L`Harmattan, Paris, 1984, pp.42-43.

محمد الصافي ولد البشير: بلاد شنقيط من منظور جيو سياسي واجماعي وفكري وثقافي: http://tawaseen.com/?p=2566

(٥٣) محمد بن ناصر العبودي: مرجع سابق، ص١٨.

(٥٤) رحال بويريك: دراسات صحراوية... المجتمع والسلطة والدين، دار أبي رقراق، الرباط، ٢٠٠٥، ص٩٩-١٠٣؛ حماه الله ولد السالم: أزمة الدولة الوطنية وفشل الاندماج وتحقيق المواطنة في موريتانيا، ص٤٩٨.

(٥٥) بلاد الحوض، أرض مشهورة بعد آوكار، مما يلي تيشيت، انظر أحمد بن الأمين الشنقيطي: مصدر سابق، ص ٤٣٩.

(٥٦) محمد المختار ولد سيدي عالي: ملامح الحكم السياسي للمجتمع البيضاني خلال الفترة الحديثة، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، العدد٩، ٢٠١٦، ص٤٦؛ محمد الأمين ولد سيد أحمد: فقهية الحرب والسلم والتاجرة مع الأوربيين: بحث في رؤى فقهاء البيظان في الوجود الأوربي في بلادهم، مجلة دراسات موريتانية، العدد الأول، مارس ٢٠١٢، ص ٧٣، ٧٤.

(٥٧) المامي: مصدر سابق، ص١٨٦؛ أيوب ولد محمد محمود: النوازل في بلاد شنقيط دراسة فقهية خلال القرنين ال-١٣ و١٤ الهجري، ماجستير في الفقه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ٢٠١٦، ص٣٠.

(٥٨) عبد السلام أديب: الصراع الطبقي والتحولات السياسية والاقتصادية في المغرب، منشورات النهج الديمقراطي، ٢٠٠٥، ص٧١.

(٥٩) حماه الله ولد السالم: أزمة الدولة الوطنية، ص٤٩٩.

(٦٠) حماه الله ولد السالم: المجتمع الأهلي الموريتاني: مدن القوافل ١٥٩١-١٨٩٨، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٩٤، ٩٥.

(٦١) حماه الله ولد السالم: تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٧، ص ١٥، ١٦.

(٦٢) الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٧، ص٣٤-٣٦؛ أحمد ولد الحسن: مظاهر الوعي القومي العربي عند مثقفي بلاد شنقيط في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مركز دراسات الوحدة العربية، المجلد٧، العدد٧٢، فبراير١٩٨٥، ص١١١.

(٦٣) أحمد ولد الحسن: المرجع السابق، ص١١١، ١١٢؛ سيد أحمد ولد الداي: مرجع سابق، ص١٠٣.

(٦٤) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت: اعرف وطنك: موريتانيا الإسلامية: بلاد شنقيط، ص٧٦.

(65)Xavier Coppolanï: Op.cit, pp. 10, 14, 19, 22, 23.

(٦٦) الغلاوي: مصدر سابق، ج٣، ورقة ٢١٨، ٢١٩؛ ج٤، ورقة ٢٤٣، ٢٥٤، ٢٧٧.

(٦٧) المصدر نفسه، ج٤، ورقة ٢٤٥، ٢٦٩، ٢٧٠، ج٥، ورقة ٧٣، ٧٤.

(٦٨) المصدر نفسه، ج٤، ورقة ٢٠٨، ٢٤٥؛ القصري: مصدر سابق، ج٤، ص ٥، ٥١.

(٦٩) محمد البشير الإيديلي: مصدر سابق، ورقة ٨٧؛ القصري: نوازل القصري ، ج٤، ص ٦، ١٩، ٢٠، ٤٤.

(٧٠) فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، ص ٣٥٦.

(71)Xavier Coppolanï: Op.cit, pp. ١٠, ١٤, 19, 22, 23.

(72) Robert Adams: Noueau Voyage dans l'interieur de l'Afrique, fait en 1810, 1811, 1812, 1813 et 1814, ou Relation de Robert. Adams, Traduit par Chavelier de Fransans, L.G. Michaud, Paris, 1819, XX, p. 184.

(٧٣) تقع وادان على بعد ١٠٠ كم تقريبا إلى الشمال الشرقي من مدينة شنقيط في ولاية أدرار من الشمال الموريتاني حاليًا. انظر حماه الله ولد السالم: تاريخ بلاد شنكيطي، ص ٢٥٢. ووادان عبارة عن مجموعة قرى صغيرة لقبيلة مسوفة تنتشر في وادٍ به نخل يقع بالأراضي الموريتانية على بعد حوالي ٩٠ كم شمال شنقيط، ينسب بناؤها إلى قبيلة إيدو

الحاج سنة ٥٣٦هـ أو ٥٤٦هـ، وأصبحت سوقًا مهمة ومحطة للقوافل، انظر الحاج موسى أحمد كامره: مصدر سابق، هامش ٦٩، ص ٩٦.

(74)Xavier Coppolanï: Op.cit, pp. 10, 14, 19, 22, 23.

(٧٥) الغلاوي: مصدر سابق، ج٤، ورقة ٢٤٦؛ القصري: مصدر سابق، ج٤، ص ١٣، ١٤.

(٧٦) الغلاوي: مصدر سابق، ج٤، ورقة ٢٤٦؛ القصري: مصدر سابق، ج٤، ص ١٣، ١٤؛ محمد فال: مصدر سابق، ورقة ١-٥.

(٧٧) هو حبيب الله بن المختار بن محمد الكنتي الوداني، كان رحمه الله فقيهًا نحويًا شاعرًا سخيًا، له مجموعة نوازل في الفقه، انظر البرتلي: مصدر سابق، ص ٨٩.

(٧٨) الغلاوي: مصدر سابق، ج٥، ورقة ١٦٣، ١٦٤.

(٧٩) فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، ص ٤٥٧.

(٨٠) الغلاوي: مصدر سابق، ج٤، ورقة ٢١٠، ٢١١؛ فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، ص ٣٤٧.

(٨١) فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، ص ٣٤٧.

(٨٢) المصدر نفسه، ص٣٤٥، ٣٤٦.

(٨٣) المصدر نفسه، ص ٤٠٩.

(٨٤) هو مسئول استعماري فرنسي، أخذ على عاتقه مهمة كشف المنطقة التي تقطنها القبائل في بلاد شنقيط، وبدأ بإرسال الرحالة والمستكشفين إلى تلك المنطقة، واستطاع بفضل هؤلاء جمع الكثير من المعلومات التي ساعدته في حملته الاستعمارية في غربي أفريقيا وخاصة في منطقة نهر السنغال. وعين فيدهرب حاكمًا للسنغال في عام ١٨٥٤ وأوكلت إليه مهمة توسيع النفوذ الفرنسي من نهر السنغال إلى الداخل. للمزيد من التفاصيل، يرجع إلى: محمد عبد الرحمن ولد عمار: السياسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا على عهد فيدهرب، مجلة عصور الجديدة، العدد ١٤-١٥، أكتوبر ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص ٢٣٨.

(85) Faidherbe, M, L: Notice sur la Colonie du Sénégal et sur les Pays qui Sont en Relation avec elle, Paris, 1859, p.8.

(٨٦) الغلاوي: مصدر سابق، ج٥، ورقة١٢٠.

(٨٧) أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي: المعيار المعرب الجامع عن فتاوى علماء أهل إفريقية والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ١٩٨١، الجزء الخامس، ص ١٣٦-١٣٨.

(٨٨) خديجة الراجي: التجارة الصحراوية ثوابت ومتغيرات، ضمن كتاب: مدخل إلى الصحراء الأطلنتية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ٢٠١٠، ص١١٢؛ حمادي أمهيمار: تجارة الملح من خلال كتب الفقه: مخطوط نوازل المختار بن الأعمش (١٠٣٦هـ/١٦٢٥-١١٠٧هـ/١٦٩٦م) نموذجًا، مجلة الفقه والقانون، العدد ٧٩، مايو ٢٠١٩، ص٧٨.

(٨٩) المختار ولد حامد: حياة موريتانيا، منشورات معهد الدراسات الأفريقية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤، ص٢٦؛ حمادي أمهيمار: مرجع سابق، ص٧٨.

(90) Désiré, V: La Mauritanie du 19ème siècle à L' indépendance , Introduction à la Mauritanie, Edition C . N . R . S , Paris , 1979, p.72.

(٩١) أحمد بن الأمين الشنقيطي: مصدر سابق، ص٥٢٢.

Xavier Coppolanï: Op.cit, p.34.

(٩٢) فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، ص٣٣٢.

(٩٣) الغلاوي: مصدر سابق، ج٤، ورقة ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥١؛ ج٥، ورقة ١٥١، ١٥٢.

(٩٤) من قبيلة أولاد زيد العربية الحسانية، شيخ علماء تيشيت، أحد المفتين المشهورين، فكان من أهل العلم إذا نزلت النازلة يسألونه ويقتدون به. وقد رحل إلى المشرق للحج، ومر بمصر والتقى بالخرشي فأجازه ضمن جماعة، انظر البرتلي: مصدر سابق، ص ٨٧، ٨٨؛ حماه الله ولد السالم: تاريخ بلاد شنكيطي، هامش ٣٧٢، ص ٢٥٩.

(٩٥) الغلاوي: مصدر سابق، ج٣، ورقة٤٢.

(٩٦) المصدر نفسه، ج٤، ورقة ١٨١، ١٨٢.

(٩٧) الشريف سيدي محمد بن فاضل الشريف، كان كما يروي عنه البرتلي رفيع الدرجة في العلم وعلو الهمة، وكان من الفقهاء المحققين والعلماء العاملين، كان عليه مدار الفتيا في الفقه في زمنه، وكان العلماء يحسنون ذكره ويعظمون شأنه وينتهون عند فتواه واثقين بها، انظر: فتح الشكور، ص ١٢٤، ١٢٥.

(٩٨) الغلاوي: مصدر سابق، ج٣، ورقة٨.

(٩٩) المصدر نفسه، ج٤، ورقة ٨١، ٨٢.

(١٠٠) محمد المختار ولد السعد: إمارة الترارزة وعلاقاتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين من ١٧٠٣ -١٨٦٠م، مجلة رباط الكتب الإلكترونية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، عدد ٥، الرباط، ٢٠٠٢، ص١٠.

(١٠١) مؤلف موريتاني من أهل القرن التاسع عشر: كتاب امْرُوگ الْحَرْفْ، مؤلف باللهجة الحسانية، تحقيق وتعليق سيدي أحمد ولد الأمير، مركز الدراسات الصحراوية، الرباط، المغرب، ٢٠١٦، ص ٢٠، ٣٧-٣٨.

Prosper Cultru: Les Origines de l'Afrique Occidentale : Histoire du XVe siècle à 1870, Paris, 1910, p.41.

(١٠٢) انظر تعليق المحقق د. سيدي أحمد ولد الأمير لكتاب امْرُوگ الْحَرْفْ، هامش ٦٩، ص ٤٢.

(103) Prosper Cultru: Op.cit, p.١٣٣, Xavier Coppolanï: Op.cit, p.34, Faidherbe, M, L: Op.cit, p.72.

(104) Ould Cheikh, Abdel Wedoud: Où mettre la gomme ? Une controverse juridique sur le statut de la gomme arabique dans le Sahara maure au XIXe siècle, Islamic Law and Legal Culture in the Sahara : Historical Approaches" INALCO, Paris, 7-6 juin 2018, p.1.

(١٠٥) لم يتوقف الأمر على تجارة الصمغ فقط، فقد أفتى البعض بعدم جواز بيع الرقيق إلى النصارى، انظر: فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، ص٣٣١.

(١٠٦) انظر يحيى بن البراء: مواقف الفقهاء الموريتانيين من الاستعمار الفرنسي، مجلة الضياء، العدد ٧، نوفمبر ١٩٩٧، ص٨١.

(١٠٧) محمد الأمين ولد سيد أحمد: مرجع سابق، ص٧٦، ٧٩، ٨٠.

(١٠٨) فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، ص٣٤٥، ٣٤٦.

(١٠٩) الدوانق مفردها دانق، لفظ معرب مأخوذ من اليونانية، مقداره سُدس درهم، وهو يعادل وزن ثمان حبات من أوسط حب الشعير، انظر علي جمعة: المكاييل والموازين الشرعية، دار الرسالة، القاهرة، ٢٠٠٩، ص١٣؛ إبراهيم سليمان: الأوزان والمقادير (مصطلحات ومفردات فقهية)، مطبعة صور الحديثة، لبنان، ١٩٦٢، ص ٢٢، ٢٦.

(١١٠) المامي: مصدر سابق، ص١٦، وما بعدها.

(١١١) نفسه.

(١١٢) الغلاوي: مصدر سابق، ج٣، ورقة ٢١١.

(١١٣) هو عبد الله بن الطالب عبد الرحمن بن الطالب محمد بن شل اليلوي، كان رحمه الله ملازمًا للعلم منذ نشأته، كان بصيرًا بالمدارك، خبيرًا بالوثائق والشروط، وكما يقول عنه البرتلي "سهمه في الفقه مصيب"، أخذ الفقه عن سيدي الحسن بن الطالب أحمد البرتلي، انظر: البرتلي: مصدر سابق، ص ١٦٩.

(١١٤) الغلاوي: مصدر سابق، ج٣، ورقة ١٥.

(١١٥) فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، ص٣١٥.

Lethielleux Jean : Ouargla cité Sahariennes au début du xxe siècle, Paris, 1984, p.165.

(١١٦) أيوب ولد محمد محمود: مرجع سابق، ص ٧٢، ٧٣.

(١١٧) الغلاوي: مصدر سابق، ج٤، ورقة ٨١، ٨٢.

(١١٨) المامي: مدر سابق، ص١٦، وما بعدها.

(١١٩) الصاع لغة: مكيال لأهل المدينة يساوي أربعة أمداد، ومقداره عند جمهور العلماء يساوي ٢,٠٤ كيلو جرام، انظر: علي جمعة: مرجع سابق، ص٢٠.

(١٢٠) فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، ص٣٤٥.

(١٢١) المد هو مقدار ملء اليدين المتوسطتين من غير قبضهما، ومقداره عند جمهور العلماء يساوي رطل وثلث، أي ما يوازي ٥١٠ جرامًا، انظر: علي جمعة: مرجع سابق، ص ١٩، ٢٠.

(١٢٢) الغلاوي: مصدر سابق، ج٣، ورقة١٩.

(١٢٣) المصدر نفسه، نفس الجزء، ورقة١٥.

(١٢٤) الشبر وحدة قياس تساوي ستة أصابع، وتعادل تقريبا ٨,٨ سم عند المالكية، ومن المعلوم أن المذهب المالكي كان هو السائد في بلاد شنقيط، انظر: علي جمعة: مرجع سابق، ص ٢٩.

(١٢٥) فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، ص٣٤٧.

(١٢٦) الغلاوي: مصدر سابق، ج٣، ورقة٨.

(١٢٧) مؤلف موريتاني من أهل القرن التاسع عشر: كتاب امْرُوگ الْحَرْفْ، ص ٢٠، ٣٧-٣٨.

Prosper Cultru: Op.cit, p.41.
(128) Ibid, pp.41, 60, 67, 166.

(١٢٩) فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، ص ٤١٠.

(١٣٠) الغلاوي: مصدر سابق، ج٣، ورقة٨٤.

(١٣١) فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، ص ٤٠٧.

(132)Xavier Coppolanï: Op.cit, pp. 27, 29.

(١٣٣) الغلاوي: مصدر سابق، ج٥، ورقة ١٢٢، ١٢٣.

(١٣٤) أَبَّرّ النخل: أي لَقَّحَهُ، وأصلحه. والفاعل: مُؤَبِّر أو أَبَّار. انظر أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨، المجلد الأول، ص٥٢.

(١٣٥) الغلاوي: مصدر سابق، ج٥، ورقة٣.

(١٣٦) قنو النخلة هو اسم للسباطة بما تحمله من رطب، وهو بمنزلة عنقود العنب، انظر مصطفى بن محمد البناني: تجريد العلامة البناني على مختصر الإمام سعد الدين التفتازاني على متن التلخيص في علم المعاني، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٣١٣هـ، ص٦٦.

(١٣٧) فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، ص ٤١٠.

(١٣٨) المصدر نفسه، ص ٣٨٩.

(١٣٩) المصدر نفسه، ص ٤٠٩.

(١٤٠) الغلاوي: مصدر سابق، ج٥، ورقة١٠٤، ١٠٥. ويقصد بالعُكوم، الأحمال التي تجمع فيها الأمتعة. ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٩، ج١٠: كتاب النكاح، ص٢٦٣.

(١٤١) الغلاوي: مصدر سابق، ج٥، ورقة٧٢.

(١٤٢) ابن حجر العسقلاني: مصدر سابق، ج٣: كتاب الجنائز، ص١٥٧.

(١٤٣) الغلاوي: مصدر سابق، ج٥، ورقة ٨٨، ٨٩.

(١٤٤) المصدر نفسه، نفس الجزء، ورقة ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٨، ٩٩.

(١٤٥) المصدر نفسه، نفس الجزء، ورقة ١٠٠.

(١٤٦) المصدر نفسه، نفس الجزء، ورقة ١٢٢، ١٢٣.

(١٤٧) فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، ص ٤٠٧.

(١٤٨) تقع أروان بإقليم فزان على طريق السودان على بعد ٢٥٠ كم شمال شرقي مدينة تنبكت في جمهورية مالي، أي مسيرة عشرة أيام، يصل منها المسافر إلى معدن ملح تاوديني، وإلى تندوف، يذكر أن عقبة بن نافع رضي الله عنه غزاها عندما توغل في الصحراء سنة ٤٦هـ/٦٦٦م، انظر أحمد بن الأمين الشنقيطي: مرجع سابق، ص ٤٤١؛ الحاج موسى أحمد كامره: مرجع سابق، هامش ٦٩، ص ٩٦ .

(١٤٩) الغلاوي: مصدر سابق، ج٤، ورقة ٥٦، ٥٧.

(١٥٠) المصدر نفسه، نفس الجزء، ورقة ٢٥٤.

(١٥١) البرتلي: مصدر سابق، ص٨٧، ٨٨؛ سيد أحمد ولد الداي: مرجع سابق، ص١١١.

(١٥٢) هو عمر بن بابا بن علي بن أند عبد الله بن سيدي أحمد الولاتي، كان شيخا جليلاً فاضلاً ، أجازه الفقيه المحدث الحاج الحسن بن أغبد الزيدي، وقد درس وأفتى وعني بالحديث ولازم قراءته إلى أن توفي، انظر البرتلي: مصدر سابق، ص ١٨٢- ١٨٤.

(١٥٣) الغلاوي: مصدر سابق، ج٤، ورقة ٢٧٧.

(١٥٤) البرتلي: مصدر سابق، ص ٣٢٥.

ويؤكد القصري (المتوفى عام ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م) في نوازله تكرار ظاهرة نهب الإبل خلال القرن ١٣هـ/ ١٩م، بدليل تلك النازلة التي استفتي فيها بشأن رجل نهب بعيرًا من آخر ظلمًا. انظر: القصري: مصدر سابق، ج٤، ص ٤٥٤.

(١٥٥) كان عالمًا فقيهًا معتنيًا بالعلم، كثير النظم للمسائل والنظائر في الفقه، جمع كثيرًا من المسائل ما بين الأجوبة والنظم في الفقه، أخذ عن خاله الفقيه سيدي محمد بن الحاج أبي بكر، البرتلي: مصدر سابق، ص ٥٢، ٥٣.

(١٥٦) الغلاوي: مصدر سابق، ج٤، ورقة ٢٤٣.

(١٥٧) نوازل القصري، ج٤، ص ٥٢٠.

(١٥٨) الغلاوي: مصدر سابق، ج٤، ورقة ٢٦٩، ٢٧٠.

(١٥٩) المصدر نفسه، نفس الجزء، ورقة ٢٤٥.

(١٦٠) المصدر نفسه، نفس الجزء، ورقة ٢٤٥.

(١٦١) المصدر نفسه، نفس الجزء، ورقة ٢٦١.

(١٦٢) فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، ص ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥.

(١٦٣) الغلاوي: مصدر سابق، ج٤، ورقة ٢٤٤.

(١٦٤) المصدر نفسه، نفس الجزء، ورقة ٢٦٩، ٢٧٠.

(165) Robert Adams: *Op*.cit, p. 184.

(١٦٦) الغلاوي: مصدر سابق، ج٥، ورقة ١٦٦، ١٦٧.

(١٦٧) المصدر نفسه، نفس الجزء، ورقة ١٦٦، ١٦٧.

وقد استفتي حول نفس القضية الطالب أبو بكر بن علي بن الشيخ (المتوفى عام ١١٠١هـ/١٦٨٩م)، حيث سئل عن رجل ترك بلدته وفيها أرضه وعقاره، واستوطن بلدًا آخر، فهل يزول ملكه عن أملاكه أم لا ؟ فأجاب بأن مجرد الانتقال إلى بلد أخرى، لا يجرد المالك من أملاكه. وسئل فقيه وقاضي مدينة شنقيط ابن الأعمش (المتوفى عام ١١٠٧هـ/١٦٩٥م) عن نفس النازلة بنواحي وادان، حيث سئل عن أرض لقوم، ولم يبق من هؤلاء القوم إلا شخص واحد، فهل تكون هذه الأرض ملكًا له أم لا، فأجاب بأن الأرض

تبقى في ملكيته طالما لم ينازعه عليها أحد. انظر الغلاوي: مصدر سابق، ج٥، ورقة ١٦٨، ١٦٩.

(١٦٨) محمد رازقي: الاقتصاد والمجتمع في البلاد التونسية في النصف الثاني من القرن السادس عشر من خلال نوازل قاسم عظوم، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، العدد٢٥، ٢٠١٨، ص٤١.

(١٦٩) الغلاوي: مصدر سابق، ج٤، ورقة ٢٤٦؛ محمد فال: مصدر سابق، ورقة ١-٥.

(١٧٠) الغلاوي: مصدر سابق، ج٤، ورقة ١٨١، ١٨٢.

(١٧١) المصدر نفسه، نفس الجزء، ورقة ٢٤٥.

(١٧٢) المصدر نفسه،ج٥، ورقة ٦٣.

(١٧٣) ينتسب المغافرة إلى عرب حسان المعقلية، وينتمون في أصولهم إلى بني سليم وبني هلال الذين قدموا من صعيد مصر إلى بلاد المغرب، فيما يعرف بالتغريبة الهلالية في القرن ٥هـ/١١م. وقد أصبحت كلمة حساني تطلق محليًا على من يحمل السلاح، ويتميز بالعنف واستعمال القوة؛ والمغافرة هم أحد فروع حسان، فرضوا نفوذهم على أنقاض مشيخة أولاد رزك الحسانية حوالي عام ١٠٤٠هـ/١٦٣٢م، وانتهى نفوذهم مع خضوع بلاد شنقيط للفرنسيين عام ١٣٢١هـ/١٩٠٣م، انظر الحاج موسى أحمد كامره: مصدر سابق، هامش ٧٠، ص ٩٨.

(١٧٤) القصري: مصدر سابق، ج٤، ورقة ٤٤.

(١٧٥) يحيى ولد البراء: الفقه والمجتمع والسلطة دراسة في النظر الاجتماعي والسياسي للفقيه الموريتاني بين مشمول أهل القبلة وآصرة أبناء القبيلة، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، ١٩٩٤، ص ٩١.

هناك بعض المشاكل التي عانى منها الرعاة، وهي خاصة بتأثير الغارات الحربية والمناوشات التي كانت تقع بين كبرى القبائل، فنتيجة سيطرة الوضع القبلي على المجتمع الشنقيطي سجلت الحروب المتوالية بين القبائل حضورًا مكثفًا إبان القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والتي تسببت في مقتل الكثير من الرعاة، فضلاً عما تعرضوا له من نهب لماشيتهم، ومن أمثلة هذه الغارات: وقعة كسارى بالقرب من مدينة كومبي صالح عام

١١٢٤هـ/١٧١٢م بين أولاد بوفايدة وإيدوعيش. والحرب بين أهل تشيت عام ١١٥٤هـ/١٧٤١م، والحرب بين أهل شنقيط وأهل وادان عام ١١٥٥هـ/١٧٤٢م، انظر القاضي بي بن سليمان: موريتانيا الوقائع والوفيات وذكر الحروب والإغارات، تحقيق محمد سعد بوه ولد حماه الله وحمود ولد سليمان، وزارة الإعلام والثقافة، موريتانيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٤٢، ٤٣، ٤٤. كما شهد القرن التاسع عشر حروبًا بالغة الأثر، منها: إغارة كنتة على إبل ولاتة وتقاتلهم مع الرعاة عام ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م، وإغارة أخرى عام ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م على عير ولاتة بمنطقة الحوض عند ساسندي، كما نهبت مشظوف عير الأقلال ووقعت الحرب بينهما عام ١٢٧٨هـ/١٨٦١م، وأغار أهل أسويد على أهل بورده، وساقوا إبلهم، وحملوا أثاثهم وقتلوا رجالاً منهم عام١٢٨٧هـ/١٨٧٠م، كما أغارت أرقيبات على عير ولاتة وأهل بوردة، وأخذوا الإبل عام ١٢٩١هـ/١٨٧٤م. وفي عام ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م أغارت قبائل البرابيش على عير ولاتة وأهل بوردة، ونهبوا خمسمائة من إبلهم، انظر المرجع نفسه، ص ٥٣، ٥٥، ٦٧، ٧٢، ٧٧.

(١٧٦) فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، ص ٣٧٧-٣٧٩.

(١٧٧) يحيى ولد البراء: الفقه والمجتمع والسلطة، ص ٩٢، ٩٣.

(١٧٨) الغلاوي: مصدر سابق، ج٥، ورقة ١٠، ١١.

(١٧٩) المصدر نفسه، ج٣، ورقة ٢٦٧.

(١٨٠) الشريف حماه الله: مصدر سابق، ورقة ١٤- ١٩.

(١٨١) هم بقايا الجيش المراكشي الذي غزا تنبكت عاصمة مملكة صنغي بالسودان الغربي منذ عام ١٠٠٠هـ/١٥٩١م حماه الله ولد السالم: تاريخ بلاد شنكيطي، ص ٢٦٥.

(١٨٢) مجهول: وثائق مختلفة ونوازل فقهية، مخطوطة محفوظة ضمن مخطوطات جامعة فرايبورج بألمانيا، مصورة عن مخطوطات المعهد المورياني للبحث العلمي، تحت رقم MS 386، ورقة ١٧، ١٨.

(١٨٣) محمد البشير الإيديلي: مصدر سابق، ورقة ٩٦، ١١٠.

(١٨٤) انظر القصري: مصدر سابق، ج٣، ص ٤٨٠- ٥٤٥.

(١٨٥) الرماة مصطلح أطلق على بقايا الجيش المغربي الذي غزا بلاد السودان الغربي عام ١٥٩١م، وبقي بعض أفراده بعض انقطاع صلتهم بالسلطان المراكشي، انظر: حماه الله ولد السالم: تاريخ بلاد شنكيطي، ص ٢٦٥.

(١٨٦) وردت هذه النازلة في مجمع إنبوي الولاتي، ص ٢٠٤، نقلاً عن حماه الله ولد السالم: تاريخ بلاد شنكيطي، ص ٢٦٥، ٢٦٦.

(١٨٧) القصري: مصدر سابق، ج٢، ١٩٥، ١٩٦.

(١٨٨) المصدر نفسه، ج٤، ص ٥.

(١٨٩) هو الشريف أحمد بن فاضل الشريف، كان رحمه الله فاضلاً نجيبًا. وكان المفزع إليه وإلى أخيه محمد في الفتيا، وكانت النوازل ترد عليه، فيجيب عنها بأحسن جواب، وبرع وتقدم في العلم وأفتى ودرس، انظر البرتلي: مصدر سابق، ص ٤٧، ٤٨.

(١٩٠) البرتلي: مصدر سابق، ص ٤٨؛ محمد المختار ولد السعد: الفتاوى والتاريخ، ص ١٣٨.

(١٩١) الغلاوي: مصدر سابق، ج٥، ورقة ٦٥، ٦٦. وهناك مشاكل أخرى عرضتها النوازل تخص عدم التزام مكتري الدابة بما اتفق عليه مع صاحبها، وخاصة مسألة الالتزام بالمسافة والجهة المتفق على السفر إليها، فقد سئل القصري عمن اكترى فرسًا إلى بلد محدد لا يتعداه، لكنه سافر عليها إلى بلدة أخرى بعيدة غير متفق عليها، فمات الفرس في إيابه. انظر: القصري: مصدر سابق، ج٤، ص٥١. وفي نفس الإطار سئل الشريف محمد بن فاضل عن مستعير دابة تعدى المسافة المتفق عليها، انظر: الغلاوي: مصدر سابق، ج٤، ورقة ٢٠٨.

(١٩٢) محمد البشير الإيديلي: مصدر سابق، ورقة ٨٧.

(١٩٣) القصري: مصدر سابق، ج٤، ص ٣٥.

(١٩٤) المصدر نفسه، نفس الجزء، ص ١٣، ١٤.

(١٩٥) الغلاوي: مصدر سابق، ج٣، ورقة ٢١١.

(١٩٦) المصدر نفسه، ج٤، ورقة ٢١٠، ٢١١.

(١٩٧) المصدر نفسه، نفس الجزء، ورقة ٢٤٧، ٢٤٨.

(١٩٨) المصدر نفسه، نفس الجزء، ورقة ٢٥١.

(١٩٩) المصدر نفسه، نفس الجزء، ورقة ١٨٤.

(٢٠٠) المصدر نفسه، نفس الجزء، ورقة ١٨٣.

(٢٠١) المصدر نفسه، ج٣، ورقة ١٧٦.

(٢٠٢) المصدر نفسه، نفس الجزء، ورقة ١٧٦.

(٢٠٣) البرتلي: مصدر سابق، ص ١٣٦.

(٢٠٤) الغلاوي: مصدر سابق، ج٣، ورقة ١٨٠.

(٢٠٥) فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، ص٣١٧.

(٢٠٦) من إعداد الباحث بتصرف اعتمادًا على:

https://www.google.com/imgres?imgurl=https%3A%2F%2Fwww.ml7z.com